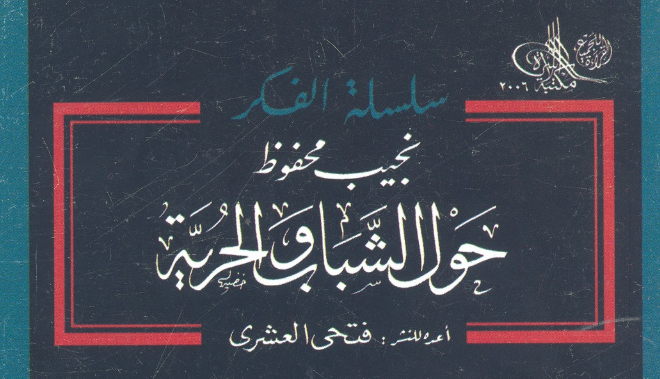


مكتبة الأسرة ٢٠٠٦

سلسلة الفكر

نجيب محفوظ

حول الشباب والحرية

أعده للنشر: فتحي العشري







برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام
د. ناصر الأنصارى

تصميم الغلاف
د. مدحت متولى

الإشراف الطباعى
محمود عبد المجيد

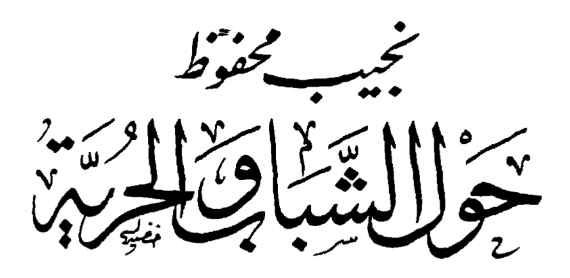
الإشراف الفنى
على أبو الخير
ماجدة عبد العليم
صبرى عبد الواحد

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب



أعده للنشر : فتحى العشرى



حول الشباب والحرية

لوحة الغلاف للفنان شفيق رزق.
المصيف - ألوان مائية على ورق - ٥١ x ٧٣ سم.

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

محفوظ، نجيب، ١٩١٢ -
حول الشباب والحرية/ نجيب محفوظ. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
٢٧٧ ص ؛ ٢٠ سم. -
تدمك X-٢٩٤-٤١٩-٩٧٧.
١- المقالات العربية
أ- العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧٣٨ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977-419-294-x

ديوى ٨١٤

توطئة

انطلاقًا من شعار «مكتبة الأسرة» هذا العام: الثقافة لغة السلام، والذى طرحته السيدة الفاضلة سوزان مبارك، انتقت مكتبة الأسرة حوالى ٣٠٠ عنوان، حاولت أن تقترب من الأجواء الفكرية والثقافية والإبداعية لمفهوم قيمة ثقافة السلام ودعم التسامح، وتعميق قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية المدنية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وترسيخ قيمة دور المرأة وتعزيز قيمة التجدد الثقافى، والتفكير النقدى، والحوار، والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى. وأخيرًا إبراز تواصل الإبداع المصرى عبر أجياله المختلفة وتياراته المتنوعة.

إن مكتبة الأسرة من خلال سلاسلها المتنوعة تحاول استيعاب المشهد الثقافى والفكرى والإبداعى فى مصر عامًا بعد عام. وفى هذا العام تطرح أعمالاً جديدة ، وتقدم أسماء لم تنشر من قبل فى

هذا المشروع الرائد، وتقتحم مجالات فكرية وثقافية وأصوات إبداعية جديدة.

وسوف تدور عناوين **مكتبة الأسرة ٢٠٠٦** فى فلك سلاسل الأدب، والفكر، والعلوم الاجتماعية، والعلوم والتكنولوجيا، والفنون، والمئويات التى تحتفى هذا العام مع العالم كله بمرور ستمائة عام على رحيل المفكر العربى الكبير **عبدالرحمن بن خلدون**، الذى يعد واحدًا من بُناة الحضارة العربية الإسلامية فى أوج عظمتها وازدهارها، ولأن هذه الحضارة كانت الأساس الذى قامت عليه الحضارة الأوروبية الحديثة، **فابن خلدون** يعتبر نموذجًا واضحًا لأهمية حوار الحضارات وطريقة تواصلها.

سيظل هدف **مكتبة الأسرة** فتح نوافذ جديدة للقارئ المصرى للاطلاع على منابع الثقافة العربية والعالمية وتكوين ثقافته ومعرفته بأيسر السبل، والوقوف أمام ما أنتجته عبقرية الأمم ممثلة فى تراثها الأدبى والثقافى والعلمى والفكرى المستنير، حتى يستطيع القارئ مواجهة العنف والأصولية، والفخر بإسهامات أسلافه العرب فى تشكيل مسيرة الحضارة الإنسانية.

مكتبة الأسرة

تقديم

سيظل نجيب محفوظ بما قدمه من إسهامات وماحققه من إنجازات يمثل علامة فارقة فى تاريخ الأدب العربى. باعتباره أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل منذ إنشائها عام ١٩٠١ - وحتى إحرازه لها عام ١٩٨٨، فلم يسبق لعربى قبله أن فاز بأى من جوائز نوبل الأدبية أو العلمية، اللهم إلا نصف جائزة نوبل للسلام التى حصل عليها من قبل الرئيس السادات، كما أن نجيب محفوظ يعد ثانى أديب إفريقى يفوز بتلك الجائزة بعد «سونيكا» أديب إفريقيا الكبير، حيث حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل.

وقد حظى نجيب محفوظ منذ ماقبل نوبل بالتقدير الذى يستحقه على مستوى الوطن العربى، فنشرت أعماله فى العديد من بلدانه المختلفة ومنها سوريا والكويت ولبنان.. وغيرها، كما أن كثيرًا من أعماله وجدت طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعات والتليفزيونات العربية. وعالميًا فرض نجيب محفوظ اسمه أيضًا على الأوساط الثقافية من خلال ترجمة الكثير من أعماله للغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية والإسبانية والروسية والألمانية والإيطالية.. وغيرها، فضلاً عن الكتب والدراسات النقدية والرسائل العلمية التى أجريت حول أعماله فى الجامعات المختلفة.

ولاشك أن نجيب محفوظ بعد نوبل قد حظى بمزيد من الاهتمام والتقدير على المستوى العالمى، حيث ذاعت شهرته وارتفعت مبيعاته وترجمت أعماله إلى معظم اللغات، ومن ثم تجاوزت حدود الكتب والقراءة إلى آفاق أخرى فاقتحمت إذاعات وتليفزيونات العالم، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعضها فى السينما العالمية وتقديم بعضها الآخر على المسارح المهمة فى العواصم المختلفة.

وإذا كانت أعمال نجيب محفوظ - لاسيما الروائية والقصصية - التى أثرى بها المكتبة العربية قد لاقت ماتستحقه من الاهتمام والبحث، ونال عنها العديد من الجوائز والأوسمة قبل حصوله على جائزة نوبل، إلا أن مقالاته لم تنل ذلك

القدر من الاهتمام، فحتى البدء فى إعداد هذا الكتاب لم تكن أى من دور النشر العربية أو الأجنبية قد فكرت فى نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة - كما يشير الناقد فتحى العشرى - وهو مادفعه للتفكير فى إعداد هذا الكتاب ضمن سلسلة من ثلاثة كتب تتضمن مقالات نجيب محفوظ خلال سنوات العشر (٧٦ - ١٩٨٥) فى «الدين والديمقراطية»، «الشباب والحرية»، و«الثقافة والتعليم».

على أمل أن يتم نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة ومنذ الأربعينيات فى مرحلة لاحقة.

يتضمن هذا الكتاب العديد من المقالات التى نشرت بجريدة الأهرام فى الفترة (من ١٩٧٦/٥/٢٤ حتى ١٩٨٥/١٢/٢٦) والتى يتناول فيها نجيب محفوظ الكثير من القضايا الوطنية والقومية والاجتماعية وبعض مشكلات الحياة اليومية والموضوعات التى طرأت على الساحة فى ذلك الحين واستحوذت على اهتمام العامة والخاصة من قراء ومثقفين ومتخصصين، فأديبنا كعهده دومًا لاينأى بنفسه أبدًا عن قضايا وطنه ومشكلات مجتمعه ومتغيرات واقعه، وإنما يحرص دائمًا على أن يشارك فى الحوار والجدل والمثار، ولعل مايتضمنه هذا الكتاب من مقالات تتمحور فى معظمها حول هموم وقضايا الشباب والحرية، يكشف ويؤكد حقيقة هذا الاهتمام وذلك الاتجاه. وفضلاً عن مقالات صاحب نوبل فإن الكتاب يلقى الضوء على حياة نجيب محفوظ وأعماله وأهم الكتب العربية والأجنبية التى صدرت حول حياته وأعماله، وكذا الدراسات الأجنبية والرسائل الأكاديمية التى كان نجيب محفوظ موضوعًا لها.

وقد أعد هذا الكتاب للنشر وكتب مقدمته الكاتب فتحى العشرى الذى قدم من قبل أكثر من ثلاثين كتابًا مؤلفًا ومترجمًا فى السينما والمسرح والأدب والفنون التشكيلية ومنها: «مفكرون لكل العصور»، «سينما نعم.. سينما لا» «دقات المسرح»، و«ألوان العصر». كما شارك فى العديد من المهرجانات الدولية.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٩٠ وأعيد نشره عام ٢٠٠٤، ونظرًا لأهمية الكاتب والكتاب فقد حرصت «مكتبة الأسرة ٢٠٠٦» على أن تقدمه لقرائها هذا العام فى طبعة جديدة.

مكتبة الأسرة ٢٠٠٦

الموجات الرسمية والإعـلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل ، ربما بفضل مبادرة «الأهرام» بنقل مركز الثقل إلى « قـاعــة توفيق الحكيم» التـى تحمل رقـم ٦٠٦ ببرج الأهرام الدور الســادس والتى لم تفتح بعــد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنبــة الطويلـة فى مــواجهــة مكتب الحكيم . .

أمـا الاهتمام الذى فـاق كل التـوقعـات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العـربية ويفوز بجائـزة نوبل العالمية بعـد ٨٨ عامـا من بداية منح الجائزة سنويا. فقـد بدأت عام ١٩٠١ فيما عـدا السنوات التى لم تمنح فيهـا الجائزة نتيجة لانـدلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديبا فازوا بها كاملة أو مناصفة .. هذا فضلا عن أنه أول أديب عربى يفـوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سونيكا ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربيا واحـدا لم يفز قبل نجيب محفوظ بأى من جوائـز نوبل العالميـة الأدبية والعلميـة فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات ..

وأخيرا ، فإن نجيب محفـوظ قـد فـاز وحده بجـائـزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعـة التى كانت مـرشحة معـه، والمنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية ..

ولابد من ذكــر سبب جــوهرى يتمثل فى أن نجيب

محفوظ لا يختلف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدر من ناحية أخرى ، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ولنجيب محفوظ نفسه وللجميع أيضا ..

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها، فمنذ إعلان نبأ الفوز وهو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يختف عن الأنظار ولم يردّ أحدا، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى ستوكهولم لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر ..

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى ، بينما على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفا إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات وأهمها: الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية والإسبانية، والألمانية، والروسية، والصينية، والسويدية.

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، فقد ارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو

بمعظم لغـــات العـــالم، ولم تعـــد تطبع وتنشر فى مصر وحـــدها، بل فى لبنـان والعــراق ، وســوريا والأردن ، والجزائـر وتونس والمغـرب ، وفى مناطق كثيرة من العـالم مضافة إلى الدول التى ذكرناها من قبل ..

وكما عـرفت أعمال نجيب محفوظ طريقهـا إلى المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون فى الوطن العربى قبل فوزه بجائـزة نوبل ، بدأت تزحف بعـد فوزه بجائـزة نوبل إلى إذاعات وتليفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله فى السينما العالميـة ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة ..

وبعـد فوز نجيـب محفوظ بجـائـزة نوبل ، بدأت دور النشر العربيـة فى تقديم بعض أعماله بشكـل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال ..

ولكن حتى هذه اللحظـة لم تكن دور النشر العـربيـة والعالمية قد فكرت فى نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة ..

وهذه المجمـوعـة من الكتب هى باكـورة منشـورات الدار المصرية اللبنانيـة الخاصة بـإنتاج نجيب محفـوظ من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة ، وأقبـل على تنفيـذ المشروع بترحيـب من نجيب محفوظ .. وهى مقالات كتبهـا نجيب محفوظ فى السنوات العشر الأخيرة على أمل نشر مقـالاته الســابقـة على تلك الحقبة ومنذ الأربعينيات ..

هكـذا فكـرت ونقبت واخـــترت وأعـــددت هـذه

المقـالات فى ثلاثة كتب هـى : « الدين والديمقـراطيـة »، و«الشبــاب والحرية» و « والثقــافـــة والتعليم » لتكون البدايـة، بعد أن أضاف نجيـب محفوظ إلى كل منهـا كلمة «حول » تعبيرا عن تواضعه المعهود ..

وهكذا تحققت تلك الفكرة وظهـرت تلك المقـالات إلى النور مرة ثانية وإلى الأبد..

أمـا مقالات هذا الكتـاب « حول الشبـاب والحرية» فقـــد نشرت جميعـــا بجـــريدة الأهـرام فى الفترة من ٢٤/ ٥/ ١٩٧٦ حتى ٢٦/ ١٢/ ١٩٨٥ .

والثقة كل الثقة ، فى أن تحظى الكتب الثـلاثة بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفـوظ الروائية والقصصية والمسرحية ..

والثقـة كل الثقـة ، فى أن تترجـم هى أيضـاً إلى معظم لغـات العـالم ، بـل كـل لغات العالم ... والله هـو الموفـق دائما!

فتحى العشرى

العرب والحضارة

فى مجلة «آفاق عربية» نص المترجم عن تقرير سرى لكنه كامبل بينزمان رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٢ يقول فيه عن شرقنا العربى «إن هناك قوماً يسيطرون على أرض واسعة تزخر بالخيرات الظاهرة والمغمورة، وتسيطر على ملتقى طرق العالم.. وهى موطن الحضارات الإنسانية والأديان، ويجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة، ولغة واحدة،وتاريخ واحد، وآمال واحدة. وليس هناك أى حاجز طبيعى يعزل القوم عن الاتصال ببعضهم البعض.. ولو حدث واتحدت هذه الأمة فى دولة واحدة فى يوم من الأيام لتحكمت فى مصير العالم، ولعزلت أوروبا عنه؛ ولذلك يجب زرع جسم غريب فى قلب هذه الأمة يكون عازلاً من التقاء جناحيها، ويشتت قواها فى حروب مستمرة، ورأس جسر ينفذ إليه الغرب لتحقيق مطامعه».

ونحن لسنا فى حاجة إلى تقرير سرى ليذكرنا بمغزى الوحدة العربية أو نتيجتها الحتمية فى خلق أمة قوية أو قوة عالمية. لذلك يهتف بها الملايين من العرب لا ليعزلوا أوروبا عن العالم أو يتحكموا فى مصير العالم، وإنما ليحققوا ذاتهم فى الوجود الإنسانى، وليسهموا فى العطاء الحضارى بما هو خليق بماضيهم المجيد وجهادهم الدامى المعاصر. ولكننا فى حاجة إلى من يذكرنا كل يوم بأن عدونا يروم تشتيت قوانا فى حروب مستمرة. والغريب أننا لا نكتفى بما رسم العدو ودبر، ولكننا نعاونه على تحقيق هدفه بخلافاتنا المتواصلة واستنزاف قوانا فى نزاعات إقليمية حتى أوشك الفرد منا أن يكفر بهذه الوحدة وييأس منها.

وإنى لأتساءل متى تصفو النفوس وتتحد القلوب إن لم تحرص على ذلك وهى تواجه عدوًّا شرساً متحفزاً، وتتوقع حرباً ضروساً غادرة؟ وهل «ذا هو الوقت المناسب لتتبادل الجزائر والمغرب النيران، ويتقاتل أبناء الوطن الواحد فى لبنان، وتتنابذ مصر وسوريا وليبيا؟!.

وأعجب شيء أن لنا الجامعة العربية. وهى مؤسسة أصبحت بحكم العمر والعمل ذات تاريخ وتقاليد. وكان ينبغى أن يحل فيها أى خلاف، أو أن تحصر الخلافات المستعصية فى أضيق الحدود حتى تجد لها الحلول فى الأمد القريب أو البعيد، وفى نطاق آداب رفيعة لا يمكن تجاوزها أو الاستهتار بها. ولكننا نترك الجامعة تتهاوى وتتفتت وهى الرمز الأول لوحدتنا،،والأمل المرصود لمستقبلنا. الوحدة مازالت

بعيدة ولكن الجامعة قائمة. وعلينا أن نجعل منها حجر الأساس للبنيان المنشود، ولن يتأتى ذلك إلا بتقويتها ومنحها القدرة على الحركة والعمل، علينا أن نجعل منها المكان المقدس الذى يتلاقى فيه العرب فيما يتفقون فيه أولاً، وفيما يعالجون من خلافاتهم أخيراً. وما يتفقون فيه أو ما يمكن أن يتفقوا فيه هام وخطير وكبير الأثر فى الحاضر والمستقبل. أذكر من ذلك على سبيل المثال التكامل الاقتصادى والثقافى. ولعله الدعامة الحقيقية للوحدة السياسية فيما بعد.

ولعلنا فى أشد الحاجة إلى عقد مؤتمر قمة لرسم صورة حضارية لمستقبل الأمة العربية، يبحث فيما يبحث وسائل تقوية الجامعة العربية، ومنها القوة والفعالية، ووضع خطة عربية هامة للتنمية الاقتصادية والثقافية، يستهدف خلق أمة عربية روحية علمية معاصرة، وعلى أن يشكل فى الجامعة هيئة متابعة للتخطيط والتنفيذ.

إن علينا واجباً تاريخيًّا وحضاريًّا، وعندنا من إمكانات النجاح: ثروات بشرية ومادية وروحية. والتهاون بعد ذلك خيانة لا غفران لها.

- **حال العرب اليوم:**

العرب يشغلون موقعاً ممتازاً من الأرض، ويبلغون أكثر من ١٤٠ مليون نسمة، ولكن إنتاجهم الصناعى لا يزيد عن نصف فى المائة من الإنتاج العالمى، كما أن إنتاجهم الزراعى لا يتجاوز الواحد والنصف فى المائة، وثلاثة أرباعهم أميون، ومستوياتهم العلمية لم تبلغ بعد

الدرجة التى تسمح لهم بالإسهام فى الإبداع العالمى. وهذه حال لا يمكن السكوت عليها ولا الصبر على البقاء فيها أكثر من ذلك ، ولا الاكتفاء فى الخروج منها بالمجهودات الفردية تبذل هنا أو هناك. وفى تقدير الخبراء أن الأمم النامية إذا اطرد سيرها فى طريق التنمية الاقتصادية والثقافية فى نطاق إمكاناتها ودون توقف فلن تصل إلى مقام الأمم الراقية قبل مائتى عام، ولكن أى تقدم جديد ستحرزه الأمم الراقية خلال المائتى عام ؟! وهل سيقضى بتلك التفرقة المفزعة بين شعوب الإنسانية إلى الأبد ؟! إن أخشى ما يجب أن نخشاه أن تتغير نوعية الإنسان المتقدم فى أثناء ذلك، فيكتسب خــواص متفوقة جديدة ، يمكن أن يتوارثها ، فيتمخض ذلك عن إنسان جديد ، لا يختلف هنا فى الدرجة فحسب ، ولكن فى النوع مما يهددنا بالأسـر الأبدى أو الانقراض.

ولكن ثمة هدية أهداها الحظ السعيد إلى العرب وهى البترول فخصهم بمزية غالية لم تتح لغيرهم من الأمم النامية. حقاً إنها لا تخلق حضارة أو تبدع علماً ، ولكنها توفر سيولة مالية تستطيع مع الفطنة والحكمة أن تصنع المعجزات ، وتدفع بهم بقوة استثنائية للحاق بالركب الإنسانى المتقدم. لذلك فالتبرول ليس ثروة، ولكنه امتحان ورسالة. وقديماً خرج العرب من البداوة إلى إنشاء حضارة عالمية بفضل الإسلام ، واليوم فهم مدعوون إلى بعث تلك الحضارة على مستوى العصر بفضل البترول ، والنكوص عن ذلك خيانة للتاريخ والدين

والعصر. ولا سبيل إلى نكران ما بذل من مساعدات واستثمارات ولكن الأمر يحتاج إلى أساسين جوهريين :

١ ـ خطة شاملة لجميع الأوطان العربية ، يشترك فى إعدادها جميع الخبراء العرب وبعض بيوت الخبرة العالمية تستهدف استصلاح كل شبر من الأرض ، والنهوض بالصناعة فى جميع مجالاتها ، وإعداد مراكز البحث العلمى والثقافى . بذلك تبعث الحضارة فى الوطن العربى ، وتضمن بلاد البترول تجديد ثرواتها ومضاعفتها قبل نضوب الطاقة المخزونة .

٢ ـ إيمان راسخ كقوة دافعة للعمل ، يعتمد على قيمنا الروحية الخالدة ، إسلامية ومسيحية ، ويطعم بتجارب الأمم الحديثة فى التقدم ، وإقامة ميزان العدالة الاجتماعية .

وليتنافس زعماء العرب فى تحقيق هذا الهدف بدلاً من التخاصم والتنافس فى الأباطيل .

• هل ننقرض كالديناصور ؟

وثمة أنباء عالمية عن طقس سيئ يستمر أربعين عاماً ، يهدد المحاصيل الزراعية الضرورية لحياة الإنسان بشر وبيل . وثمة تخمينات واقعية عن أن البعض قد يلوذ آخر الأمر بالقنبلة الذرية كوسيلة لا مفر منها للحصول على الغذاء . وحتى قبل تحقق ذلك الطقس فلايين من البشر يعانون الجوع بصفة دائمة ، والمجاعة أحياناً . ومشكلة تفاقم تكاثر

السكان فى استفحال مستمر سينتهى بالبشر إلى المأزق نفسه ساء الطقس أو لم يسوء فإذا لم ينقذ العلم الموقف بمعجزة من معجزاته فستجد الإنسانية نفسها كسفينة موشكة على الغرق وليس بيد الربان إلا عدد محدود من قوارب النجاة ولا تتصور أن ذلك خيال، فكم من أنواع زالت وانقرضت، وكأنها لم تكن، أو كأنها كانت مجرد نزوة. كذلك اختفى الديناصور بعد قوة وسيطرة، بل لقد اختفى أكثر من نوع من الإنسان، كإنسان جاوه، وإنسان بيكين وغيرهما، ولم يكن أحدهما يختلف عن الإنسان الحالى إلا فى حجم المخ وبعض القسمات. وعند الاختيار الدقيق، وبدافع الخوف من الفناء، لا يبقى إلا الأصلح والأقوى، وهو المتقدم بالمعنى العصرى لهذه الكلمة.

فإما أن تتأصل الحضارة وتزدهر فى بلادنا قبل أن ينضب البترول وإما أن نعرض أنفسنا للفناء.

● **الضمير العالمى:**

لعل البعض لا يتصور أن تحدث أمور بتلك الفظاعة، ولكن ممكن أن يحدث أى شىء. إن ما يسمى بالضمير العالى مولود حديث، لم يقم له معبد على الأرض قبل عصبة الأمم، وما زال معبده واهى الأركان، خاصة إذا قورن بالضمير القومى. ضميرنا القومى مازال يندب حتى اليوم شهداء دنشواى والبدرشين ودير ياسين، أما الضمير العالمى فقل أن يتغير له لون أمام مفجع الحادثات. ولقد تابعت أخبار زلزال إيطاليا، فعجبت أنه لم يكد يترك أثراً يذكر فى نفوس الناس.

فنحن نقرأ ونسمع ولا نكترث . وكأنما فقدنا الشعـــور والخيال . وتفسير ذلك فى نظرى يرجع إلى نشاط وسائل الإعلام وتغطيتها المتتابعه لأحداث العالم . والجريدة اليومية ، من الصفحة الأولى حتى صفحة الوفيات ، تكتظ بالمصائب ، الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، يندر أن يدعو فيها خبر إلى الابتسام والتفاؤل إلا الإعلانات ، وبحكم العادة اليومية تهون علينا المصائب، وتصبح وكأنها أخبار عادية ، هكذا مرت بنا مذابح الحرب العظمى وحرب فيتنام ، واغتصاب فلسطين ، وزلازل يوغسلافيا وإيطاليا ، بل هكذا هانت أكبر جريمة فى تاريخ البشرية وهى إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكى ، فنحن نعرف الفواجع ولانكاد نتأثر بها ، وقد جعل منها الإعلام الحديث عادة يومية ، وشيئاً مألوفاً . ولذلك فإن أى كارثة يمكن أن تقع دون مبالاة بالضمير العالمى ، ولن يمنع وقوعها إلا الخوف من قوة مضادة مماثلة أو من انتقام لاحق . ولقد دافعنا عن حقنا بالمنطق ومناشدة القيم فلم يصغ لنا أحد ، ثم خضنا حربى أكتوبر والبترول فوجدنا أذناً صاغية فى كل كيلومتر مربع . وأختم بما سبق أن قلت : « إما أن تتأصل وتزدهر الحضارة فى بلادنا قبل أن ينضب البترول ، وإما أن نعرض أنفسنا للفناء » .

١٩٧٦/٥/٢٤ .

فقــراء وشرفــاء

لكل وقت فلسفة تناسبه ، وأعنى بالفلسفة هنا أسلوب التصور والسلوك ، وبهذا المعنى فلكل فرد فلسفته المستوحاة من ظروف البيئة وملابسات الحياة ، ولعل خير وصف ينطبق علينا اليوم أننا بناءون ؛ لأننا مدعوون فى كل لحظة إلى ترميم أو تجديد أو إنشاء أو تعمير ، مالنا دون الكفاية ، وأملنا بحكم العدد والتاريخ (طويل عريض ، وشعارنا يجب أن يكون الجهاد والجهاد والجهاد ، جهاداً فى الحرب ، جهاداً فى السلم ، جهاداً للنفس ، لذلك ففلسفة الوقت يجب أن تقوم مع التقشف والعمل .

وقد بدأت الدولة تطبيق التقشف فى نطاقها ، فوفرت من ميزانيتها بضعة ملايين من الجنيهات ، وهى مطالبة بألا تغلق هذا الباب حتى توفر كل مليم يستحق أن يوفر ، فما لا يقبل فى عقل أو ذوق أن نمد

اليد لطلب إعانة أو قرض ونحن ننفق مليماً واحداً بلا ضرورة حقيقية.

أمّا الشعب من ناحيته فثلاثة أرباعه يعيشون التقشف، فلن يطالبوا بمزيد منه، أما الربع الباقى فلم يبدر منه حتى الآن ما يدل على أنه يريد المشاركة فيما يتطلبه الوقت من جدية وتضحية. فلايين تهدر كل عام لتستورد لهذا الربع، ما تطيب به حياته من سيارات وأغذية فاخرة وكماليات لا حصر لها، يمكن الاستغناء عنها، تضامناً مع الشعب وإسهاماً فى عملية الإنقاذ الوطنية الكبرى.

نحن لا نطالب بالمساس بحق من حقوق المواطن كإنسان، بل نطالب بالمزيد منها فى التعليم والثقافة والعمل والصحة والحرية والكرامة والمواصلات وغيرها، أما المأكل والملبس والمسكن فبحسبها — وبخاصة فى هذه الأيام — أن توفر الصحة والنظافة والأمان، لا الفخامة ولا الترف ولا الإفراط. وحقيقة أن هذه المتع تنتهى إلى طريق مسدود، وتشكل أعباء على الصحة البدنية والنفسية على حين أن مسرات الروح بلا نهاية، وهى تجدد النفس وتبعث فيها أعمق الأشواق وأبهجها. وإنه لمن المؤسف أن هذه الحكمة قد ابتذلت من طول ما ترددت فى بعض الأفلام المصرية بغية حمل الفقراء على الرضا بفقرهم، وعلى ألسنة أناس غير مصدقين لما يعرف الناس من إغراقهم فى الترف، ولكن هذا لا يمنع من كونها حكمة حقيقية

وأسلوباً فذاً فى الحياة ، أما اليوم فهى واجب لا يفرط فيه إلا أنانى لئيم ، ولا يجوز أن تحابى الدولة هذه (الطائفة) على حساب الوطن .

وقد قرأت أخيراً أن شركة فرنسية تقيم فندقاً عالمياً فى موسكو اشترطت فيما اشترطت أن تجىء بالغذاء لعمالها من فرنسا ، وعلق أناس على الخبر ساخرين من مستوى المعيشة فى الاتحاد السوفيتى . ولاشك أن التغذية فى روسيا صحيّة ، ولكن يبدو أنها تلتزم بالضرورى ، ولعله لولا ذلك ما كان فى مقدورها أن تبنى جهازها الصناعى والعلمى ، وأن تحقق العدالة الاجتماعية ، وأن تتقدم الدول فى غزو الفضاء ، وأن تحقق تلك النهضة الفذة فى نصف قرن ــ وقد استغرقت فى أوروبا ثلاثة قرون ــ ودون اعتماد على الاستعمار واستغلال الشعوب .

إن ما أطالب به واجب وطنى ، وفضيلة أخلاقية إسلامية وسياسية اشتراكية . ألا ما أقبح أن ننهزم فى صراع الحياة بشهوة بطوننا !

● **حذار من سوء السمعة :**

ثارت عاصفة فى مجلس الشعب حول « كبراء » شغلوا من قبل مناصب الوزارة وما هو أكبر منها ، ويعملون الآن فى تربية العجول والدجاج والتصدير والاستيراد ، وشحن الجو باتهامات وظنون دون ذكر أسماء . ونحن لا يهمنا ما عسى أن يكون لذلك من أثر فى الخارج فالعالم ملىء بالفضائح ، ولا يجوز أن يصادر خوفنا على سمعتنا حريتنا

فى النقد، وإلا وجد المنحرفون فرصتهم الذهبية فى الصمت للتمادى فى الفساد فى أمن وسلام. إذن فنحن لا يهمنا ما يكون للنقد من أثر فى الخارج، ولكن يهمنا أثره فى الداخل إذا تطايرت الاتهامات ولم يعقبها التحريات والتحقيقات الواجبة، وعدم ذكر الأسماء يوسع من دائرة الاتهام، ويصيب كثيرين من الأبرياء، وينشط الخيال فيضرب فى كل مجال وبلا حساب، والناس من العسر فى حال، ولم يعد بهم من طاقة للتسامح فيما يمس معاناتهم اليومية. والحق يقال أن العمل فى ذاته لا يمكن أن يعتبر مأخذاً أو انحرافاً، ولا بأس من أن يمارسه وزير سابق أو نائب رئيس سابق، بل هو خدمة عامة مادام يؤدى ما عليه نحو الدولة، أما ما يثير الريب فهو أن يستغل صاحب النشاط نفوذه ومكانته وعلاقاته السابقة فى التهرب من الضرائب مثلاً، أو فى الحصول على تسهيلات لا حقّ له فيها، أو فى استغلال نفوذه بأى وجه من الوجوه، وعند ذاك يتحول النشاط من عمل مشروع إلى جنحة أو جريمة، ويحق لنا أن نتساءل إن كان لذلك دخل فيما نعانى من آلام فى ميادين التموين وارتفاع الأسعار وغيرها، لذلك أعتقد أنه واجب أن تعرف الأسماء، وأن يُتأكَّد من سلامة العمل ومشروعيته ومن أدائه ما عليه من ضرائب، وأن يعلن ذلك على الملأ السيد رئيس الوزراء وهو شخصية توحى بالاستقامة والصدق والوطنية.

الأهرام ١٤/٦/١٩٧٦.

اقتل أخاك ظالما أو مظلوما

إنْ تقع فى شَرَك وأنت تجهل أنه شَرَك فهو سوء حظ لا يخلو من سوء تدبير وفطنة ، إذ أن الحكيم مسئول عن كل شىء ، وحتى عن المجهول فهو مسئول ، ولكن ماذا نسمى من يقع فى الشرك وهو يعلم أنه شرك ويرى بعينيه من نصبه لـه . هذا هو حال الأمم العربية بلا مبالغة ولا تجن . إنهم يعلمون علم اليقين أن قوتهم فى اتحادهم ، ويعلمون علم اليقين أن عدوهم دائب على الإيقاع بينهم لتفريق كلمتهم ، وأنه يرمى من وراء ذلك إلى مد فترة اللاسلم واللاحرب إلى أقصى حد ، وإلى شحن نفوسنا باليأس لنرضى بأى صلح يفرض علينا ، ويرمى أكثر من ذلك إلى تصفية نصرنا التاريخى من مضمونه . وقد قرأنا خلال العامين الماضيين عن خططه فى ذلك وأحلامه ، وها نحن نحققها له بما خلق تصوره ، ها نحن نتقاتل بلا رحمة ، ونتمزق

بلا مبالاة، ويسقط ضحايانا بالعشرات والمئات والألوف، ويمضون فدية للتعصب والعناد وقصر النظر.

لا تقولوا إن أعداءنا كثيرون، لا تقولوا إننا لعبة بيد أكبر الدول وأقواها، لا تتحدثوا عن الدس والدساسين، والكيد والكائدين، ولكن فكروا وفكروا طويلاً فيما ينقصكم من الداخل، فى نقاط ضعفكم الذاتى التى جعلت منكم صيداً سهلاً لكل رامٍ، ولعبة لكل كائد، فكروا فى هذا الموضع من نفوسكم الذى كان يجب أن يضىء بالحكمة والبصيرة، وليس فيه فى الواقع إلا النزق والعصبية والأنانية.

ويقع ذلك كله ونحن فى حالة حرب، وأراضينا محتلة وحضارتنا تغالب التخلف والفقر والجهل، وعدونا يعبث بمصيرنا بيد، ويتلقى الإمدادات والمعونات بيد. ومن المؤسف حقاً، والمخجل أيضاً، أننا نعرف كل شىء عن الشَّرَك ونرى بالعين مَن نصبه لنا، ثم نتردى فى أعماقه بلا تبصر مدفوعين بقوى الغضب العمياء.

وصراحة ما كنت أحب لمصر أن تكون طرفاً فى أى نزاع عربى، أود دائماً أن تصون مكانتها باعتبارها الشقيقة الكبرى، وأن تقصر مهمتها على الوساطة بين المتنازعين والسعى بالخير بين المتخاصمين. وفى سبيل ذلك أطالبها بالحكمة بلا حدود وضبط النفس بلا نهاية، عليها أن تتحلى بالحلم حيال السفيه، وبالأدب حيال الأحمق، وبالصبر على كافة المكاره والاتهامات، عليها ألا تحول عينيها عن العدو ومكائده، أن تفسد تدبيراته، وتفشل حيله، وتفوت عليه أغراضه، عليها أن تتجنب

الغضب حتى إذا حق الغضب. وأن ترفض الانفعال ولو كان عدلاً وحقًا، عليها قبل أن تتفوه بكلمة أو تحدث فعلاً أن تكون على بينة كاملة بعواقب ذلك على الوطن، على القومية العربية، على القضية المعلقة، على العالم الثالث، بل على العالم كله. هذا هو واجب السياسى فى هذا العالم صار قرية كبيرة واحدة.

● **عندما تفقد الكلمات معانيها:**

الكلمات تفقد معانيها بالمبالغة المقصودة أو غير المقصودة: فهذه المعركة معركة إبادة، آلاف القنابل وآلاف الضحايا. وهذا الرجل عميل. وهذه الدولة تعمل ضمن مخطط صهيونى استعمارى.

وبالمبالغة تفقد الكلمة مضمونها، وتفقد أيضاً الثقة والاحترام، وتهون الجريمة نفسها وتتلاشى خطورتها، حتى إذا ارتكبت حقيقة ذات يوم مضت وكأنها حدث من أحداث الحياة اليومية.

لو صدقنا مايقال عن الحرب فى لبنان لوجب علينا أن نؤمن بفناء جميع الفلسطينين فيها، ولو صدقنا أن سوريا تعمل متضامنة مع الصهيونية والاستعمار فكيف نسمح ببقائها بعد ذلك عضواً فى الجامعة العربية، وكيف نجتمع برئيس وزرائها فى الجزيرة العربية؟

بل أليس من حق سوريا ـ زميلتنا فى السلاح ـ أن نسمع رأيها فى الموضوع بلسان أحد المسئولين فيها؟. أين تقاليد الجامعة العربية؟ أين حق القومية العربية علينا؟.

وليكن مفهوماً أننى لا أدافع عن سوريا ، ولكننى من ناحية أخرى إذا لم أعرف رأى الخصم فلا أجدنى ذا حق فى تأييده أو معارضته .

لا يكفى أبداً أن نقرأ آراء صحفنا وتعليقاتها ، فسوريا ليست بإسرائيل ، هى عضو الجامعة ، وزميلتنا فى التضحية والسلام ، وهى من أعلام العروبة على مدى التاريخ ، وقد اتخذت منا موقفاً مخاصماً منذ اتفاقية فصل القوات ، ولعل الحق قد جانبها ، ولعلها تمادت فى الخطأ ، ولكنها لن تفقد بذلك تاريخها وجهادها . ولا يجوز أن تحرم من إسماعنا رأيها لنحكم لها أو عليها ، ولكن بعد البينة والدليل ، وليكن ذلك موقفنا الوحيد من جميع البلاد العربية ، لأنه الموقف الوحيد الذى يهيئ لمصر أن تلعب دورها التاريخى فى بناء القومية العربية ، والسير بباخرتها فى سلام وسط العواصف والزوابع ، بل يهيئ لها ما هو أهم من ذلك ، وهو العمل على تكاملها الاقتصادى والثقافى ، وبعث حضارتها من جديد على أساس روحى مادى متين ، لعل فيه الخلاص لنا وللعالم أجمع .

● أين الجامعة العربية ؟

من المؤسف أن الجامعة العربية لا تحتل من نفوس الناس المكانة التى كان يجب أن تكون لها . عملها روتينى لا قيادى ، وهى لا تتحرك حتى تضطرها الأحداث إلى التحرك ، وغالباً لا تتحرك إلا تحركاً شكلياً لا وزن حقيقى له . وهى لكى تكون جامعة العرب حقاً وفعلاً فعليها أن تسبق الأحداث لا أن تبادرها فحسب . كان يجب أن

تعيش أزمة لبنان منذ عام ١٩٥٨، وأن تقوم بأبحاث ميدانية، وأن تعقد المؤتمرات، وأن تقترح الحلول أو تدعو المسئولين إلى اقتراحها، فهمتها الحقيقية فى لبنان كانت فى التفادى من الصدام ومعالجته قبل استفحاله، لا فى التفرج عليه مع المتفرجين،أو بذل مساع شكلية من باب أداء الواجب من أى سبيل.

كذلك مشكلة الصحراء فى الغرب لم تكن مجهولة، وطالما أنذرت بالخطر، وكان على الجامعة لكى تكون جامعة حقًا أن تعايشها من قديم، وأن تدرس آراء المختلفين، وأن تقوم بين الأطراف بالسعى الجدى المسئول. وللأسف الشديد لم يكن لها فضل السبق ولا فضل المبادرة.

لِمَ لا تمسك الجامعة جدولاً بالمشكلات العربية شرقاً وغرباً؟.. ولِمَ لا تعمل على حلها بكل ما تملك من نشاط ونفوذ؟ وحتى إذا لم توفق فى حلها فبوسعها أن تجعل منها حقائق ماثلة فى الضمير العربى تدعو كل مفكر إلى الاجتهاد، بل فى سبيل ذلك يجب عليها عقد المؤتمرات على جميع المستويات ــ بمثل هذا النشاط يشعر العرب بجامعتهم ويولونها الثقة الجديرة بها، وتستطيع هى من ناحية أخرى أن تلعب دورها التاريخى فى الشرق العربى. ولعلى أطمح إلى أن يجاوز نشاطها هذا المستوى العالى من السياسة إلى الاهتمام أيضاً بالفرد العربى العادى: بمستوى معيشته، بدخله، بصحته، بعمله، بثقافته، وتقترح ما تشاء فى هذا المجال،أى أن تكون الوسيط الفعال بين البلاد

العربية فى مجالات الخبرة والعمالة والاستثمار، ليلتحم بها وجدان رجل الشارع وأمله، وأن تضاعف اهتمامها بالدعاية لعملها، فما هو فى الواقع إلا دعاية للفكر العربى، والحلم العربى، والحضارة العربية، وبرسوخه فى الضمير العربى يصبح قوة محركة للشعوب، وبالتالى للحكومات.

● الثورة والواقع:

الثورة تحد للواقع لتجاوزه، ولكن ليس كل واقع بقابل للتحدى. فالثائر يتحدى القوة حتى إذا فاقته بما لا يقاس، ولكنه لا يستطيع أن يتجاهل قانوناً طبيعياً كالجاذبية مثلاً. أقول ذلك وأنا أفكر فى محور النزاع القائم، أعنى المقاومة الفلسطينية أو الثورة الفلسطينية.

وهى ثورة حقيقية انبثقت من تيار الأحداث الصاخب كرد فعل باهر للصهيونية، ودلت فيما دلت على نفاسة المعدن العربى، وعلى أنه مازال يجود بالبطولة بأسمى معانيها وبالتضحية والفداء بلا حساب. ومهما قلت فى المقاومة فلن يوفيها قولى حقها، ولا بعض حقها، ولكنى أعتقد أنه آن الآوان لكى يعيد الأبطال النظر فى موقفهم على ضوء الواقع الصارم.

لكم من الثائرين البطولة والفداء والعزيمة، ولكن ــ للأسف الشديد ــ لا وطن لكم مثلما لجميع الثائرين وطن. ولقد استبدلتم بالوطن الفقيد وطناً شقيقاً مضيفاً كمنطلق لثورتكم، فماذا كانت العاقبة؟! كانت العاقبة ما حدث بالأردن أمس، وما يحدث بلبنان

اليوم. ضاق بكم العربى كما يضيق بكم المارونى، وليس التعصب بالدافع المحرك للمارونى فى موقفه منكم، وإلا فكيف نفسر سلوك العربى الهاشمى؟! الحقيقة أن وجود دولة داخل دولة أمر غير مقبول. وإنه لعزيز علينا أن تسفك دماؤكم بأيد عربية، وأن يكون ضحايا العرب منكم أضعاف ضحايا الإسرائيليين. لذلك فعليكم أن تعيدوا النظر فى الموقف كله.

ماذا تريدون؟. ما هو الممكن؟ وما هو المستحيل اليوم والذى قد ينقلب ممكناً فى الغد القريب أو البعيد؟. والإنسان ينتصر بالحكمة كما ينتصر بالثورة.

الأهرام ١٩٧٦/٦/٢١

معركة الهموم والعهود

مشكلاتنا أكثر من أن تحصى: منها مالا اختلاف على حله، مثل تحرير الأرض وإنشاء دولة للفلسطينيين. ومنها ما يتفق الرأى على حله، ولكن تأجيل ذلك محتوم لأسباب مالية كالتليفونات والمجارى، ومنها ما عسى أن تختلف الآراء فى اقتراح أنسب الحلول له مثل الأزمة الاقتصادية وتطهير البلاد من الفساد والمفسدين. هذا النوع الأخير من المشكلات هو الذى يجب أن يكون محور المعركة الانتخابية، ومايدور حول الحوار بين الناخبين والمرشحين، ثم مايلتزم به مجلس الشعب الجديد احتراماً للإرادة الشعبية.

ففى نطاق الأزمة الاقتصادية تعلم بعضنا أسماء جديدة أثرت قاموسه لأول مرة مثل الانفتاح والسوق الموازية والمناطق الحرة، وتعلقت آمالنا أيضاً بالمعونات والقروض وصناديق الدعم الخ.

ويعترض البعض على هذه السياسة فيرفضها جملة أو يرفض بعضها، أو يقترح لها أسلوباً خاصًا. والمعركة الانتخابية فرصة لامتحان الآراء المتعارضة ومعرفة أقصر الطرق إلى الصواب. هل هذه السياسة هى السياسة الوحيدة؟ هل يحسن تعديل شىء منها أو تغيير أسلوبها؟. ألا يمكن ترويض الأزمة دون لجوء إلى المعونات والقروض والصناديق أو الاكتفاء باللجوء إليها فى أضيق الحدود؟. ما العمل إذا امتنعت المعونات والقروض؟. وهل نتبع بدقة أسلوب الحياة الموافق لأمة تعانى ما نعانى من شدة؟.

وفى نطاق الفساد ماذا ينبغى عمله للقضاء على الغول الذى ينخر فى القِيَم ويهدد الإنتاج والتقدم؟. ولست أعنى الفساد الذى يتولد اضطراراً فى أيام الفقر والغلاء، وينزلق إليه من يعز عليهم الحصول على ضرورات الحياة، فهؤلاء لا أحل لهم سخطاً، وقد عفا الله عنهم، وما انحرافهم الصغير إلا نوعاً من التسول. إنى أعنى الفساد الكبير، ما نقرأ عن هيئة الأوقاف، وما نقرأ عن الاتحاد الزراعى التعاونى، وما قرأنا عن العمولات وحوادث بعض البنوك. ذلك الفساد لا يقتصر أثره على أفراد ولا على طبقة، ولكنه يمتد إلى الإنتاج والإدارة، ويهز خطة التنمية فيهدر المجهودات والآمال، ويعرض على الخلق قدوة قبيحة يبادر إلى تقليدها فى نطاقه كل محروم أو متطلع أو متردد فينتشر الفساد كالهواء والماء. نريد أن نتعاهد مع المرشحين على فرض عقوبات جديدة رادعة تتفق فى قوتها مع فداحة الشر المسيطر. الحياة

الجديدة تقتضى قوانين جديدة ، وقد كان المال العام أمس محصوراً فى حيز ضيق ، أما اليوم فهو عماد العمران كله ، ومن اعتدى عليه فقد اعتدى على الأمة فى حاضرها ومستقبلها ، بل اعتدى على وجودها ذاته ، بل إنه أضرُّ بها من المخربين والقتلة ومشعلى الحرائق ، وعلى أساس هذا التصور يجب أن تفرض العقوبة المناسبة له . وهناك الأمن العام ، هل تستغل إمكاناته المتاحة بكل طاقاتها ؟ .

وهناك القوانين التى لا يعنى أحد بمراقبة تنفيذها . وهناك معاملة المواطن فى دور الحكومة التى لا تحتاج إلى المال لتقويمها ، ولكنها تحتاج لشىء من العناية والحزم .

إن قدراً لا يستهان به مما نعانى منه لا يرجع وجوده إلى نقص فى العملات الصعبة، ولكنه يرجع أولاً وأخيراً إلى الإهمال والاستهتار والتسيب، والاطمئنان إلى انعدام الرقابة والمتابعة ، أو الالتزام بالواجب . فلتكن المعركة الانتخابية فرصة للكشف عن كافة جوانب النقص فى حياتنا التى يمكن إصلاحها بالإرادة ، وليكن إصلاحها عهداً يلتزم به المرشحون إذا ما وفقوا إلى اتخاذ أماكنهم فى مجلس الشعب الجديد .

• تغيير العالم :

لا تلعب فكرة دورها فى تاريخ البشر بفضل صحتها فقط ، ولكن لابد أن تتحول من مجرد فكرة قابلة للإدراك والإقناع إلى قوة مؤثرة فى

الأشياء والعلاقات، أو بمعنى آخر فى الحضارة. ولكى يتحقق هذا التحول الخطير فلابد من تهيؤ ظروف خاصة فى المجتمع، ولابد من ظهور الفرد الذى ينفخ فى الفكرة من روحه فإذا هى قوة فعالة مؤثرة وقد اكتشفت الحضارة الإسلامية الدورة الدموية وفلسفة التاريخ والمنهج العلمى، ولكن لم تتقرر فاعليتها إلا بعد اكتشافها بمئات السنين، وفى أحضان حضارة أخرى دفعت بها إلى تحقيق غاياتها البعيدة.

وقد ظهر قبل السيد المسيح جماعة يهودية متطهرة دعت إلى التقشف والحب والرحمة، ولكنها لم تترك أثراً يذكر لا بين اليهود ولا فى العالم، فلما ظهر السيد المسيح تغير كل شىء، توقدت الشعلة فى القلوب، واستيقظت الضمائر، وارتفعت الهمم، واستشهد شهداء، بلا حصر ولا عدد.. تقوضت أركان عالم قديم، ونهض مكانها شامخاً عالم جديد.

كذلك وُجد قبل النبى عليه السلام فى الجزيرة العربية مؤمنون، وآخرون حائرون يتطلعون إلى حقيقة الوجود، كما وُجِد ساخطون مع ما يتردى العرب فيه من جهالة وتفسخ روحى وأخلاقى، ولكنهم لم يجددوا الأشياء، ولا غيروا الأنفس حتى بُعث الرسول فتحرك الجامد، ونشط الخامد، واستبسل الخائف، وعزم المتردد، ودوّى صوت الحق معلنا عن قوم جدد ونظام جديد وحضارة جديدة.

وأعجب من ذلك أن الفعالية قد تنبعث بكل قوة منطلقة من فكرة لم تختبر الاختبار العلمى الكافى، بل قد تكون فكرة خيالية لا أساس

لها من صحة فكرية حقيقية، ولكن يوفر لها الداعية المؤثر الموهوب بهذه القوة الغامضة السحرية التى تبعث فى البشر الحماس والقوة والجنون وأقرب مثل إلى ذلك النازية التى قامت على فكرة عنصرية مخالفة تماماً للعلم، ولكن تيسر لها النجاح بفضل ظروف اجتماعية معينة وسحر زعيم موهوب بهذه القوة الغامضة والتى كانت ـــ من سوء حظ البشر ـــ مضللة أيضاً، ولست أريد بذلك أن أقلل من أهمية الأفكار الصحيحة، ومعاذ الله أن أفعل، ولا أن أعظم من شأن الأفكار الخيالية، ولكنى أريد أن أقول إنه كما أن الإنسانية فى حاجة إلى النور [الحقيقة] فهى فى حاجة إلى القوة الدافعة التى تجتاح العقبات وتذلل الصعاب وتخلق جلائل الأعمال.

١٩٧٦/٨/٣٠.

أوراد النجـــاة

مـن عـادات طـبـعـنـا المـأثـورة الانـفـعـالـية الشديدة ، فعند الإثارة الهامة نندفع بكل قوانا فى فورة حماس تشتعل كالنار الموقدة حتى يخيل للمشاهد أننا موشكون على تغيير الدنيا وخلقها من جديد ، وتعيش الفورة أياماً أو أسابيع ، ثم سرعان ما تنطفئ الشعلة بمثل السرعة التى اشتعلت بها ، وسرعان ما تخمد ويطويها النسيان . لتكن الإثارة جريمة اغتصاب أو جريمة اغتصاب مصحوبة بجريمة قتل ،استهزك العناوين فى الصحف ، وتقتحمك التعليقات فى المقاهى . وتنهال التهديدات من أفواه المسئولين ، وتتلاطم الاقتراحات من رجال الدنيا ورجال الدين ، ويستمر العرض أياماً ثم لا يحدث شىء البتة أو تتألف لبحثه لجنة ، ثم يذوب فى بحر النسيان العميق . ويتكرر هذا إذا ارتكبت سرقة بالإكراه فى أوتوبيس ، أو طرد ساكن من مسكنه بطريقة وحشية ، أو افترس صاحب عمارة باحثاً عن شقة ، وهكذا وهكذا .

وليست الانفعالية بعيبنا الوحيد الذى تعانى منه حياتنا العامة ، فثمة عيب آخر يمت لها بصلة القربى والنسب سمّه إذا شئت الإهمال ، أو الخمول ، أو التواكل ، أو ضعف الإحساس بالواجب ، ويطلقون عليه هذه الأيام اسماً جديداً هو التسيب ، وهو عيب ماكر يتعامل دائماً بعذر ما يدارى به تقصيره ، يتعلل بعدم وجود القانون المناسب أو ندرة العملة الصعبة ، والروتين ، أو قلة اليد العاملة ، لا حدود لتذمره وشكاياته ، والحقيقة أن النقص الأول والجوهرى راسخ فى أعماقه ، فهو يضن بنشاطه ويستهين بواجبه ولا يجد رقيباً يحاسبه أو مسئولاً يعاقبه. سأحاول أن أقدم صورة واقعية أو قريبة من الواقع تجدها فى أى مجال من مجالات النشاط المختلفة ، ففى أى مجال توجد حال قائمة من السلوك والعمل ، يقابلها فى الخيال أو الحلم حال أخرى تمثل ما ينبغى أن يكون ، وقد جرت العادة بأن نسلم بما هو قائم كأنه قدر ، ونطالب بتحقيق ما يجب أن يكون ، ولكن هل سألنا أنفسنا بصدق ودقة إن كنا استنفدنا بأمانة وإخلاص من كافة إمكانات الواقع القائم ؟! . هل قررنا ألا نحدث جديداً فى التشريع أو العلاقات أو اللوائح إلا بعد أن نتأكد من أن القديم أعطى كل طاقته وأثبت عجزه عن مسايرة الزمن المتقدم ؟!.

نحن فى هذا المجال فى حاجة إلى اتباع سياسة الخطوة خطوة بعزيمة وحكمة ، علينا أن نحرك الأداة الحكومية بكل قوة وحزم إن لزم الأمر ، فإن وجدت فجوة بعد ذلك فلنسدها بتجديد اللائحة وتخليصها

مما يعيبها . وفى مجال الجرائم والجنح ما أكثر القوانين المهملة ، لعلنا نعانى من كثرة القوانين لا من قلتها ، وكأن المكلفين بمراقبة التنفيذ وحماية الناس غير موجودين ، وقديماً لم يكن يخلو شارع من جندى أو خفير، أجل لقد تضخمت المدن وخاصة القاهرة ، وثمة نقص فيما يقال فى عدد الجنود ، ولكنى لم أر دورية أو شرطيًّا فى أحياء كاملة ومنذ زمن طويل ، لا أتذكر اليوم متى بدأ ، فهل نستغل ما لدينا من قوة وقوانين قبل أن نعزم على إصدار قوانين جديدة أخشى أن تلقى من المصير ما لقيته القوانين القائمة ؟!

الحق أنه لا تنقصنا القوانين ، ولا الأجهزة ، ولا الرجال ، وفوق ذلك تتربع المحاكم ، والرقابة الإدارية ، وديوان المحاسبات ، والكسب غير المشروع . أما الذى ينقصنا على المدى القصير ـــ ولندع الآن المدى الطويل لما يستلزمه من تربية ومثابرة ـــ فيتلخص فى كلمة واحدة اسمها « الحزم » ، الحزم الذى لا يفرق فى الحق بين الوزير والخفير، الذى يقسو على كل مستهتر ليرحم المواطنين الصالحين ، فى ظل ظليل من صحافة حرة ومجلس شعب مأمول للخير والتقدم .

١٩٧٦/٩/٢٧ .

نحـــن والكـــوارث

تعرض العرب فى تاريخهم الطويل إلى كوارث متنوعة ، أوشك بعضها أن يقذف بهم فى هاوية الفناء أو يرديهم فى فراغ النسيان. واسترجاع هذه الحقيقة لا يخلو من فائدة فى أيامنا الراهنة التى يجد العرب أنفسهم فيها ممزقين بين شتى المواقف والآراء ، تحدق بهم أخطار كثيرة ، وتهددهم عداوات متنمرة ، وتطحنهم هزائم مريرة . وغالباً ما ترجع أسباب الكوارث إما إلى خلافات داخلية بين العرب وأنفسهم ، أو إلى أعداء من الخارج يرومون اغتيالهم أو إبادتهم أو السيطرة على مصيرهم . ففى أوج عزتهم وذروة انتصارهم شجر أول خلاف بينهم على عهد خليفتهم الثالث ، فشردهم أحزاباً ، وردهم إلى عصبية الجاهلية أو أشد ، وأجرى بينهم الدماء أنهاراً حتى شغلوا حيناً عن رسالتهم بخصوماتهم التى امتد بعض بواعثها حتى يومنا هذا ، ونال ذلك من قوتهم ، ولكنه لم يمنع قافلتهم من السير، فأنشئوا إمبراطورية وحضارة .

وفى زمن آخر جمع الغرب جموعه بغية القضاء عليهم فى سلسلة من الحروب الاستعمارية المتخفية وراء قناع الدين، تواصلت أعواماً طويلة، وتوجت بنصر أقيمت لهم به ممالك فى شرقنا، تُوورِثت عروشها جيلاً بعد جيل، واتخذت كقاعدة عريضة للمزيد من الوثوب فى المستقبل، وظن كل متشائم أن تلك هى النهاية التى لن تعقبها نهاية أخرى، ولكن خاب فأل العدو والشامت والمتشائم، فاقتلعت الممالك مملكة وراء أخرى حتى تطهرت الأرض من الغزاة وعادت ترفرف فوق قلاعها أعلام أصحابها المجاهدين الصابرين.

وفى حقبة تالية اجتاح الأرض هول أسود مدمر اسمه التتار، اقتحم الحصون، ودوخ المدن، وأباد الناس، وداس بالأقدام جواهر الحضارة ناشراً الرعب بين يديه، حتى تحول فى الأفئدة أسطورة للخوف والموت. ولكنه على حدودنا وجد من يتصدى له ويتحداه، فيوقف تياره المتدفق، ويكسر سيفه الدامى، ويقلب نصره إلى هزيمة، فيقلص ظله، وينقذ العالم من شره المهلك.

وفى مرة رابعة غزا العالم العربى سلطان قاهر. أخضعه لإرادته حوالى أربعة قرون، أطفأ فيها كل شمعة فى أرجائه، وأذل أبناءه، واستصفى أمواله وخيراته وعقوله، وضرب حوله سياجاً من حديد منع عنه النور من حوله، فسبح فى ظلام دامس، حتى صحا صحوة أهل الكهف أمام رسل عصر جديد، وإذا به يبعث من جديد، وفى حيرة شديدة، فيواصل مد جسوره إلى العالم من حوله، ويشرئب بجب

استطلاعه إلى استيعاب ما فاته فى نومه الطويل، محدثاً نهضة مباركة بعد أن ظن به الموت والفناء.

وفى عصرنا الحديث، وفى أعقاب الحرب العظمى الأولى على وجه التحديد، سقطت البلاد العربية فى قبضة الاستعمار الأوربى باتفاق عالمى، بعد أن ضم إليه عدداً منها قبل ذلك بمختلف العلل، وران الظلام على القلوب، وأسفر المستقبل عن يأس كئيب. ووقف القائد المنتصر على قبر صلاح الدين يتحداه أن يقوم لإنقاذ قومه، وإذا بأول ثورة على الاستعمار تندلع فى مصر، فتتبعها سلسلة من الثورات، وإذا بصفوف الشهداء تتساقط صفًّا بعد صف، وفى أقل من نصف قرن فازت جميع البلاد باستقلالها، ومارست سيادتها فوق أراضيها، وواصلت رسالتها الخالدة فى تنمية ذواتها، واستكمال حضارتها.

اسوق حديثى هذا للذين ينظرون إلى موقف العرب اليوم بأسىً وقنوط، لا لإُهوِّن منه، فهو موقف عسير حقًّا، ولا لأعزيهم بأمجاد ماضية، فالأمجاد الماضية لا تجدى فى تغيير الواقع، ولكن لأقول لهم إن الكوارث ليست بالجديدة علينا، فكم تعاملنا معها، وكم احتويناها وتجاوزناها إلى الخير والعافية، فلا داعى مطلقا للقنوط أو التشاؤم ولا داعى لتصور إن شيئاً يمكن أن يدوم، فلا شر يدوم، ولا خير يدوم، ولا داعى إلى أن نخاف الحرب إذا وجبت الحرب، ولا أن نخاف السلم إذا وجب السلم، ولا أن نجفل من تجربة، أو نجزع من منافسة

خصم ، ولنعد أنفسنا دائماً بالعزيمة والحضارة والنزاهة لمواجهة الحياة بكافة تقلباتها من شر وخير.

١٩٨٤/٢/٢٤.

الملايين .. والملاليم

الحكومة عندنا قوة مركزية شمولية تظل الوطن من جنوبه إلى شماله، ومن شرقه إلى غربه، وهى بحكم نظامها القائم تهيمن على الاقتصاد كما تهيمن على السياسة والحياة اليومية، بيدها أجهزة الرقابة من كل نوع، وبيدها قوة التنفيذ غير المحدودة، لذلك فإن مسئوليتها شاملة، ويجب أن تتعادل مع قوتها، ولذلك أيضاً يعذر الناس ــ إذا ادلهم أمر أو استفحل انحراف ــ إنْ تساءلوا : أين الحكومة ؟ .

أجل، إن أنواعاً كثيرة من الانحرافات لا يمكن السيطرة عليها كاملة، فالفسق والرشوة، والاختلاس لا يمكن حصارها بإحكام يمنعها دائماً قبل وقوعها، وإن أمكن أن تؤدى اليقظة والمتابعة إلى ضبطها وحصرها فى أضيق الحدود. كذلك العنف والاعتداء والخطف والنشل، كل أولئك انحرافات يمكن مطاردتها ومعالجتها ولا يمكن محقها بضربة واحدة، خاصة فى هذا الزمن العسير المضغوط بشتى العلل .

غير أن كل انحراف يهون نوعاً ما بالقياس إلى ظاهرة خطيرة كثر الكلام حولها هذه الأيام، ظاهرة أصحاب الملايين الذين أفرخهم مجتمعنا، المفترض أنه يتجه نحو الاشتراكية، أو قل: العدالة الاجتماعية. ولا يجوز أن نشك فى حقيقة هذه الظاهرة لسبب بسيط، وهو أنها تناهت إلينا على ألسنة رجال من المسئولين لا يجوز الشك فى حسن نواياهم، ولا فى وزنهم وتدبرهم لما يخاطبون به الناس، ولندع جانباً ما يذاع على ألسنة الناس فى الشوارع. وخطورة هذه الظاهرة تتجاوز المجال الفردى لتمارس أثرها الأسود فى مصائر الناس، ومعاناة الجماهير، وسمعة الوطن والدولة.

ويقول البعض: لعل هذه الملايين ثمرة عمل مشروع وكسب حلال، لا خروج به على قانون، ولا استغلال فيه لجماهير الشعب الكادحة، وإنى أتساءل: أى عمل مشروع هذا الذى يجمع الملايين فى فترة قصيرة من الزمن؟.. ولو كان العمل مشروعاً والرزق حلالاً فهل أدى ما عليه من حق الدولة والناس فى الضرائب؟.. وهل إذا كان قد فعل فهل يمكن أن تتراكم ملايين فى ظل قانون الضرائب القائم؟.

وإذن فما لا شك فيه أن هذه الثروات الخيالية قد تكونت من وراء القانون والشرعية والحلال، وأنها تصبح مفهومة فى دنيا العمولات والتهريب والاحتكارات الخفية وغيرها.

وسؤال آخر يحيرنى: هل الذين كشفوا الظاهرة قد وصلوا إليها

بالاستنتاج والتخيل، من خلال أفكار مجردة وظاهرات روحية؟ أو من واقع أمثلة حية وشواهد قائمة؟ وإذا كان ذلك كذلك فلماذا لم يفضوا بما لديهم إلى الجهات المختصة ولو سرًّا في حالة عدم استيفاء الأدلة ليولوا الموضوع ما يستحقه من تحريات وبحوث حتى تنال أيديهم المنحرفين؟.

وسؤال آخر: مادام الأمر انكشف للبعض فكيف لم تكشفه بنفسها قبل ذلك، أو حتى بعد ذلك، الجهات المختصة بالرقابة والمتابعة؟.

المسألة ليست ثانوية ولا مما يقنع الإنسان فيها بالأسف والحزن، فالنهب على هذا النحو لا يجوز بحال في دولة تعاني ما تعانيه دولتنا من اختلال الميزان وسوء الحال، وهو جريمة شنعاء في حق الجماهير التي تشقى في سبيل لقمة العيش، وتعاني ليلها ونهارها سوء التغذية وكثرة الأمراض ونقص الخدمات.

ولعل حاجتنا إلى الأحزاب أو المنابر أقل ـ في هذا اللحظة على الأقل ـ من حاجتنا إلى أمناء الشرطة والمخبرين والسجون والمشانق.

١٩٧٦/٢/٢٣.

الناطـــور

الناطور هو ما يعرف بخيال المآته ، أستعيره للدلالة على الروتين المخيم على الإدارة ليؤدى هنا وظيفة مختلفة بعض الشيء ، فهو ليس ــ كالأصل ــ يحمى المزروعات من العصافير، ولكنه يشكل سدًا منيعاً فى وجوه أصحاب الحقوق ، ويحملهم مالا يطيقون من العناء . غير أنى أعتقد أنه عائق نصفه ــ على الأقل ــ وهمى ، ضخمته الدعاية ، وهوله مكر القائمين عليه ممن يستغلون سمعته السيئة بذكاء لاستغلال العباد وتحقيق المنافع . حقًا إنه مجموعة من القوانين واللوائح ، وهو بهذه الصفة يحتاج بين فترة وأخرى لإعادة النظر، لتطويره وتجديده وجعله أقدر على مواجهة مشكلات العصر، ولكن الروتين لا يعمل وحده ، وإنما ينفذه موظفون ، وإذا لم يدرك التطوير والتجديد أيدى هؤلاء الموظفين وعقولهم أحالوا أى مشروع جديد إلى مصيدة جديدة ، وتبدد كل جهد يبذل للإصلاح المنشود .

وتحضرنى بهذه المناسبة ذكرى روتينية جديرة بالعرض. فقد كنت موظفاً بوزارة الأوقاف، وهى مضرب المثل فى فقه الروتين وعبقريته، وإذا بالمرحوم عبدالسلام الشاذلى يتولى وزارتنا، وكان رحمه الله معروفاً بالحزم والشدة، فمنذ أول يوم له فى الوزارة أمر بأن تغلق أبواب الوزارة فى تمام الثامنة صباحاً، وأن يعتبر المتخلفون عن الحضور فى إجازة تخصم من إجازتهم السنوية فى المرة الأولى، وكلما تكرر التأخير بعد ذلك يخصم يوم من المرتب. وسرعان ما انتظم الحضور والانصراف كالساعة، لا فرق بين أكبر مدير وأصغر فراش. ثم سمح بفتح باب واحد بدءاً من التاسعة يقف وراءه موظفان، أحدهما للاستعلامات والآخر من إدارة التحقيقات. فإذا قصد الوزارة شخص سُئل عن حاجته، فإن كان قد جاء لزيارة منع، وإن كان صاحب مصلحة اتصل موظف الاستعلامات بالإدارة المختصة، وجاء الجواب الشافى أو ضرب له موعداً آخر، وفى الموعد المضروب يرجع موظف الاستعلامات إلى الإدارة مستخبراً عما تم، ولدى أى تأخير يحقق موظف التحقيقات فى الموضوع، ويرفع به مذكرة إلى الوزير، وكانت أقل عقوبة (يوقعها هى خصم نصف شهر من مرتب المسئول.. وقد حدث أن أهمل موظف أحد التفاتيش فى تحصيل بعض الإيجارات مما ضيع على الوزارة مائتى جنيه، فما كان من الوزير إلا أن أمر بخصم المبلغ كله من مرتبه مقسطاً على أربعة أعوام.. فى تلك الأيام كنت أشاهد كبار موظفى الوزارة ـ عندما يدعون إلى مقابلة الوزير ـ وهم يستعدون للمقابلة أمام بابه، يزررون الجاكتة ويبسملون ويهمسون

بآيات من القرآن ثم يدخلون ، والسعيد منهم من يخرج متهلل الوجه لم يصبه زجر أو عقاب ؛ إذ كان معاليه يعاقب الكبير كما يعاقب الصغير.

ماذا حدث لوزارة الروتين فى تلك الأيام الخيالية ؟

انقلبت إلى مثال فريد فى الانضباط والإنجاز والاستقامة والتحصيل والإنتاج. اختفى شبح الروتين ، فلم يسمع عنه أحد ، ولا تعلل به أحد ، وقد أدركت فى تلك الأيام أن المشكلة الأساسية تنحصر فى الوزير ، أو على أكثر تقدير فى الوزير والموظف .

وأكرر: أننى لا أعنى بذلك أن الروتين خرافة ، إنه نظام قديم ، سبقه الزمان ، ويحتاج بلا شك إلى تجديد ، ولكن أومن أيضاً بأنه خدعة الأبرياء ، وعذر الماكرين ، وأن جوهر الحل السليم يتلخص فى كلمتين ، الوزير والموظف .

.١٩٧٦/٢/٩

ذمة عبد الناصر وحرية الصحافة

أسعدنى ما بشر به السيد رئيس الجمهورية من براءة ذمة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مما نسب إليها . وهى بشرى يجب أن يسعد بها كل عربى ، لا أستثنى أحداً ولو كان عدواً ، ذلك أن ذمة عبد الناصر ليست ذمة فرد ، ولكنها ذمة مصر وذمة الحكم الوطنى ، بل هى حكم يصدر على أهليتنا لحكم أنفسنا . ولقد كانت حجة الاستعمار التى يتعلل بها للسيطرة علينا هى أننا غير أهل لحكم أنفسنا ، وأننا لو نلنا استقلالنا حقًّا واستأثرنا بإدارة شئوننا لانكشف ادعاؤنا وخربنا أنفسنا . ولقد تصديت لنقد الزعيم الراحل ، ولكنى نقدته وأنقده من موقع الانتماء إلى ثورته ، مُقِرًّا فى الوقت ذاته بتراثه الثورى العظيم الذى حرر الفلاح ، كما حرر الاقتصاد القومى ، الذى نهض بالزراعة والصناعة ، والذى فتح باب العدالة الاجتماعية على مصراعيه . وما تصورت فيه من نقص فهو النقص الذى يلحق لسوء الحظ بكبار

الرجال لا النقص الذى يقع فيه ضعاف النفوس ممن تغريهم الحياة الدنيا . لذلك أحزننى اتهامه، وغشيتنى منه كآبة لا يعلم مداها إلا الله ، حتى جاءت البشرى، فانجابت الغمة وتلاشى الكرب . ومما يجب ذكره أن الأستاذ جلال الحمامصى لم يكن أول من أشار إلى التهمة ، فقد سبقته الشائعات بسنوات ، تنسج خيوطها العنكبوتية حول ذمة الزعيم ، وتحكى الأساطير عن الأموال المهربة ، وتبالغ فى الأرقام بما يفوق الخيال . وتتناقلها الألسنة وتوشيها بالزخارف والشواهد ، حتى استوت وكأنها حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . وكنت أسمع وأغلى بما أسمع ، لا صبر لى عليه ولا حيلة لى فيه . ولعل أجهزة الرقابة التقطت الشائعات المتطايرة فى حينها ، ولعلها اكتفت بتسجيلها وتحليلها بلا استجواب ولا تحقيق ، فلما طرح الأستاذ جلال الحمامصى ما يتردد فى صورة تساؤلات من خلال الكلمة المطبوعة تحركت الأجهزة المسئولة ، مبادرة إلى التحقيق الذى انتهى بالكشف عن الحقيقة الناصعة . فلولا أمانة صحفى ، ولولا حرية الصحافة ما تبددت الأوهام وتجلت الحقيقة . لولا أمانة صحفى ، ولولا حرية الصحافة ، ما برئت ذمة رجل طاهر وسمعة وطن كريم . فلنتذكر ذلك ونحن نفكر فى حرية الصحافة . فلنتذكر ان الكذبة البشعة تتنكر فى لباس الحقيقة فى ظلام الكبت ، ولكنها تلقى مصيرها المحتوم ــ حتى وإن تجاوز التعبير عنها حدوده ــ فى جو الحرية السعيد .

٧٦/٣/٢٢ .

الشكاوى كمدخل لإصلاح الإدارة

تدور هذه الأيام مناقشات حول الشكاوى والرقابة فى لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب ، وفى اعتقادى أن وراء هذا الاهتمام رغبة مخلصة فى إنصاف لمظلومين من أبناء الشعب ، وتطلعاً نبيلاً لإصلاح الإدارة . وقد يبدو ألا علاقة وثيقة بين المدفين ، ولكنهما فى الواقع شىء واحد لا يتجزأ .

ذلك أن كل شكوى صادقة إنما تشير إلى خلل ما فى جهاز من أجهزة الدولة ، فإذا حظيت الشكوى بالرعاية الواجبة وعولجت أسبابها بالأمانة والحزم حققت أكثر من غاية . فن ناحية هى ترفع المعاناة عن مواطن ، وهذه غاية ليس وراءها غاية ، وهى تشعره أيضاً بالانتماء إلى حكومة لا تتلاشى فى ساحتها صرخته . ومن ناحية أخرى فهى تقضى على خلل أو إهمال أو تسيب فى الجهاز المشكو منه ، وتشعر

المستخدمين فيه بأن وراءهم عيناً ساهرة وضميراً محاسباً وإدارة حازمة .

وقد يهبنا تحقيق بضع مئات من الشكاوى معجزة الانضباط فى الادارة ، ويطلق قواها الراكدة ، ذلك الهدف الذى خصصنا له عاماً وأطلقنا عليه عام الثورة الإدارية ، بدأ بكلام ، وانتهى بكلام ، إذ ركزنا على اللوائح والروتين مغفلين العلة الحقيقية الكامنة فى الطاقات البشرية .

فليتذكر من يهمهم الأمر أن الشكاوى مدخل فريد لا لإنصاف المظلوم فحسب ، ولكن لبث الروح فى الإدارة المصرية ، فى وقت أصبح فيه العمل هو معقد الأمل .

٢٤/٤/١٩٨٠ .

عرب وعروبة

ننتظر ونتريث.. نساير الشعارات.. نستمر بالمبادرة ونخاطب الشعوب. هذه هي الاختيارات المعروضة لتحديد موقفنا من العرب والعروبة. وعلينا أن نفرق بين العرب والعروبة كما نفرق بين فترة من التاريخ والتاريخ كله، ما بين أصله ومصيره. وقد خاصمَنا عربُ هذه الفترة وخاصمناهم، وتلاحمنا وكلانا يهتف باسم العروبة، فلا يجوز أن ينسينا خصام عارض الأصل والجوهر، لذلك فلا محيد عن:

١ـ الاستمرار في المبادرة دون تردد أو نكوص.

٢ـ الكف من جانبنا عن الخصومة مع الحكومات العربية والإغضاء عما يلقى علينا من ناحيتها، وإذاعة أخبارها بالموضوعية.

٣ـ استقبال أي مسعى جدى لحل المشكلة من ناحيتهم بما يستحقه من التأييد.

٤ ــ التركيز على مخاطبة الشعوب العربية فيما يجمعنا من قديم الزمان إلى الأبد، كالتاريخ والتراث والثقافة والفن والهموم المشتركة ولدينا فى ذلك وسيلة لا تقف فى وجهها مقاطعة هى صوت العرب، فليكن صوت العرب حقًا وصدقاً وسط هذا الضجيج الأغبر، وليرفع صوت العقل وحواره، وليدع إلى المناقشة الأكْفاء خارج نطاق السياسة، وليعقد الندوات الثقافية والفكرية، وليوقف فى سبيل ذلك مسلسله الشهرى على كتّاب البلاد العربية، فى جو علم وعروبة وبعيداً عن الإيقاع والتحريض.

وعلينا بعد ذلك أن نصافح أى يد تمتد إلينا، من دول الاعتدال جاءت أم من دول الرفض. بذلك نعى مسئوليتنا كاملة.

.١٩٨٠/٥/١

الرقابة والإدارة .. والحساب والجزاء

لمناسبة تنظيم الشكاوى أذكر ما قامت به الرقابة الإدارية من زيارات ميدانية لسنترالات القاهرة، وما اكتشفته من نواحى التقصير ضمنتها تقريرها إلى السيد وزير المواصلات مصحوباً بتقييمها لمديرى السنترالات. أعود لموضوع الإدارة؛ لأن التزامها بالدقة والأمانة والمصلحة العامة هو معقد الرجاء فى تخطى الأزمة وتنفيذ الخطة وإبداع الحضارة.

والأصل فى هذا الالتزام أن يجىء من الداخل، ولكن الوطن لا يستطيع أن ينتظر حتى يعاد بناء المواطن من جديد، فلم يبق لنا من الوسائل الفعالة إلا المراقبة والحزم. ولدينا جهاز الرقابة الإدارية، ولعله لا يفى بحالته الراهنة بطموحنا إلى الكمال، ولكن يمكن ولا شك مده بالقوى البشرية، وما أكثر العاطل منها فى الحكومة، ويمكن توسيع

اختصاصاته ، والنص على تنفيذ توصياته ، والعمل فى تناغم مع إدارات الشكاوى ، ورسم سياسة عامة للزيارات الميدانية ، ومطاردة الإهمال والتسيب فى ميادين المواصلات والتموين والقوانين المعطلة الخ .. الخ ...

ثم لابد من المحاسبة ، ولابد من الجزاء ، على أن يتسلسل ذلك من فوق لتحت لا من تحت لفوق ، فأى مدير عام يجب أن يكون أول من يسأل ، لماذا تكثر الشكاوى من جهازه ؟ لماذا يتفشى النقص ؟ ما هى سياسته فى إدارة جهازه ومراقبة مرءوسيه وخدمة الشعب . ويتقرر استمراره أو نقله إلى الوزارة أو المعاش تبعاً لدرجة همته وجدارته . هذا إذا صممنا على النجاح بالجدية التى يتطلبها النجاح .

١٩٨٠/٥/٢٩.

الحماس بين السطح والأعماق

بين المضمون والشكل علاقة دقيقة أساسها التوازن الكامل ، فلا المضمون بجائز أن يطغى على الشكل ، ولا الشكل بجائز أن يطغى على المضمون ، وهذا القانون لا يسرى على الفن وحده ولكنه يسرى حيث يوجد المضمون والشكل فى شتى الأنشطة الاجتماعية والإنسانية كالاقتصاد والسياسة والدين الخ . ولا يطغى الشكل إلا على حساب المضمون والجوهر، والنتيجة الحتمية لذلك تدهور المعنى أمام اللفظ ، وانكماش الجوهر حيال العرض ، وتراجع الأعماق تحت السطح . خذ الدين مثلاً إذا شئت ، فستجد أن مقاماته كثيرة ، منها ما يخاطب القلب ، ومنها ما يخاطب العقل ، ولكن قد تنحصر هموم كثيرين فيما ينقض الوضوء ، أو يجرح الصيام ، أو يجهر بالفطر، ولا أعنى أن هذه أمور لا أهمية لها ، ولكنى أود أن تأخذ حجمها المناسب فى السياق العام . وقد قرأنا عن جماعة فى بعض بلاد المسلمين تأمر بالمعروف

وتنهى عن المنكر، وقرأنا عن نشاطها فى مطاردة المتأخرين عن الصلاة وأما شبه ذلك، ولكننا لم نسمع عن رأيها فى الأموال التى تبعثر فى العواصم على الملاهى، أو عن مدى احترام مبدأ الشورى فى نظام بلدها السياسى، أو مبدأ التضامن فى نظامها الاقتصادى، لذلك لا يخدعنى ترديد الشعارات، ولكننى أراجع ما يتردد على ضوء قضية المضمون والشكل، وأتذكر أن الحماس قد يشتعل أحياناً تغطية لشعور خفى بالذنب والعجز.

١٩٨٠/٩/١١.

أنفسنا أولا .. فى تشخيص المصائب

من عاداتنا السيئة أنه إذا دهمتنا مصيبة بادرنا إلى تشخيصها دون رؤية ، فنتهم الحظ أو القدر أو الخصم أو الامبريالية العالمية ، متجاهلين أنفسنا تماماً ، كأنما نحن مجرد ضحية بريئة لأحد تلك الأسباب ، أو كلها مجتمعة . وإنى أقترح علاجاً لهذه العادة المزمنة أن نبدأ عند تشخيص المصائب بأنفسنا أولاً ، لعلنا نعثر فى أفكارنا أو سلوكنا أو خططنا على ما يمكن أن يكون مسئولاً عما حل بنا ، بالإضافة إلى الحظ أو القدر أو الخصم أو الإمبريالية العالمية . وطبيعى أنى لا أقترح ذلك لمحض المعرفة ولكن للعمل على تغيير مصيرنا بتغيير أنفسنا . وإليك مثلاً عما أعنيه : هو الموقف العربى المشهور المعروف باللاحرب واللاسلم . وما أقول جديداً إذا قلت : إن أى قضية متنازع عليها بين الأمم إنما تحل بإحدى وسيلتين ، فإما الحرب وإما المفاوضة ، ولكننا خلقنا حلاً ثالثاً ، وما هو بالحل ، اسمه اللاحرب واللاسلم . إن

دعوت إلى الحرب قالوا لم يأن أوانها بعد، وإن دعوت إلى المفاوضة صاحوا هي الخيانة والتسليم والهزيمة، فلم يبق إلا موقف اللاحرب واللاسلم، أو ما يعنى الاستعداد حتى تسنح الفرصة وتمكننا القوة من القضاء على الخصم، ولكن أى خصم ينتظر مكتوف اليدين حتى يلقى ذلك المصير؟. ولذا فالنتيجة المحتومة أن يشن الخصم حرباً وقائية لأوهى الأسباب أو لغير ما سبب مدعياً أنها حرب دفاعية، وسيجد دائماً من يصدقه ويقره على رأيه. وهكذا تنهال علينا الحروب ثم تعقبها الخسائر، ونمضى فى صراخنا لاعنين الحظ أو القدر أو الخصم أو الإمبريالية العالمية. وما يستحق اللعن فى الحقيقة إلا سوء رأينا وفعلنا، وما يستحق اللعن أيضاً إلا تجار السلاح فى العالم المستفيدون الأول من عنادنا العقيم.

١٩٨١/٢/١.

بشـر يستحقون الرثـاء

الصحافة مرآة صادقة فى التعبير عن اهتمامات البشر على المستويين المحلى والعالمى، لذلك فإن إبراز خبر للفت الأنظار أو إيراده فى الظل أو ما يشبه الظل له دلالة اجتماعية ونفسية وأخلاقية هامة، وبناء عليه احتل خبر مصرع أحد الخنافس مساحة كبرى فى صحف العالم، وهو ما حدث لهزيمة كلاى من قبل، وما يحدث كل يوم لطلاق فنانة أو وقوع أخرى فى غرام جديد. ولا اعتراض لنا على أن تهتم الشعوب بالرياضة والموسيقى الخفيفة، والجميلات من كل نوع وجنس، ولكن أدهشنى أن ينشر خبر وفاة ١٣ مليون طفل بسبب الفقر فى عام واحد فى ذيل عمود، وبخط لا يكاد يقرأ، ودون أى تعليق!! وليس ذلك العام من أعوام الألف العاشرة قبل الميلاد، ولكنه عام ١٩٨١ الذى جاء عقب ربع قرن من غزو الفضاء، بل جاء مصحوباً بإحصائية عن نفقات التسليح فى عام واحد، والبالغة ١٥ ملياراً من

الدولارات كل ١٥ يوماً! فما عسى أن نقول عن حضارة الإنسان فى الربع الأخير من القرن العشرين؟! لا أقول إنها حضارة متدهورة أو منحطة، ولكن أقول إنه برغم إنجازاتها الضخمة الباهرة فى شتى الميادين فإنها لم تستطع حتى الآن أن تخلق ضميراً بشرياً ذا قوة وفعالية، وإن عامة أبنائها يستحقون الرثاء، وإنها عنوان لشر ما فى الإنسان، كما أنها عنوان لخير ما فيه.

١٩٨١/٢/١٣.

ظاهرة جديدة اسمها الاختفاء

منذ زمن قصير نسبيًا ، ليس أقل من عام ، ولا أكثر من عامين ، لاحظت أن الصحف تنشر خبراً يتكرر مرة بعد أخرى ، حتى أصبح ظاهرة تلفت النظر، وتستحق التأمل. بدا خبراً من الأخبار العادية ، فهو إعلان عن اختفاء طفل أو صبى أو غلام ، وأحياناً شاب أو شابة ، مصحوباً بصورة ، ورجاء أن يبلغ عنه أهله من يراه مصادفة فى طريقه. والخبر فى أوله كما قلت خبر عادى يحدث فى أى زمان أو مكان. وتمر أيام فينشر خبر جديد آخر عن اختفاء جديد ، فيتذكر القارىء الخبر الأول أو لا يتذكره ، ويعبره إلى غيره من الأخبار باعتباره شيئاً عاديًا يحدث فى أى زمان أو مكان. ويتكرر للمرة الثالثة فالرابعة فالخامسة ، ثم يكاد يأخذ إيقاعاً ثابتاً كل أسبوع أو عشرة أيام ، كأنما هو إعلان دورى ، فيلفت النظر، ويستدعى التساؤل ، بعد أن أصبح ظاهرة اجتماعية ، تطوى سراباً ، وتتطلب

بحثاً وتحريات خاصة. ولاشك أن كل حادث اختفاء قد بلغ إلى جهة الأمن، وأنها أولته عنايتها من الاهتمام والتحرى، ولكننا نطالب بالنظر إلى حوادث الاختفاء من زاوية جديدة باعتبارها ظاهرة لا حادثاً فردياً، ظاهرة مقلقة، ومثيرة لحب الاستطلاع، وتستحق اهتماماً يناسب حجمها، خدمة للأمن الاجتماعى وطمأنةً للمواطنين.

١٢/٣/١٩٨١.

دورنا فى بناء الحضـارة

منذ هيمنت علينا الرغبة فى النهوض ونحن نناقش الأسلوب الواجب علينا اتباعه لتحقيق هذا النهوض. يقترح فريق الرجوع إلى منابعنا الأصيلة، وفريق يدعو إلى الارتماء فى أحضان العصر، ويتوسط فريق ثالث للجمع بين القيم الخالدة فى الأصل وما يتوافق معها من العصر، وتحتدم المناقشة كل عدة عقود من السنين، فإذا بالمسألة هى المسألة، والمناقشة هى المناقشة، والاقتراحات هى الاقتراحات. الحق أن ذلك يتكرر، ولكن الحياة لا تتوقف فى انتظار الانتهاء إلى رأى نهائى، وأى مقارنة تعقد بين مصر كما كانت فى أول القرن التاسع عشر وبين مصر كما هى فى أواخر القرن العشرين تقنع بذلك بلا أدنى شك. ولكن لماذا تتكرر المناقشة على هذه الوتيرة؟. إنها تتكرر لأن مسيرة مصر لم تكن يسيرة ولا سعيدة، ولكن تخللتها إحباطات دورية قاتلة، ولما كان من الطبيعى عند كل نكسة

أن ينظر الإنسان فى ذاته وفى ظروفه لعله يكتشف الأسباب والعلل، فقد كان من الطبيعى أن يشخص أناس المرض بأنه خيانة فى الأصل، وأن يشخصه آخرون بأنه التردد فى التسليم الكامل للعصر، ومن ثمّ تثور المناقشة من جديد كما ثارت أول مرة. وما ألاحظه على المناقشة المتكررة أنها تنوط بالظروف - كالأصالة والمعاصرة - كل شىء، ولا تترك للإنسان شيئاً سوى الاختيار أو التوفيق، فهى تبشر بنهضة لا يقوم فيها الإنسان بعمل يذكر، على حين أن أى نهضة حقيقية فإنما مرجعها إلى الإنسان روحاً وعقلاً وإرادة ونظاماً. ليست الأصالة ولا المعاصرة ولا التوفيق بينهما بالمقياس الذى نختار به ما نفعل وما لا نفعل، المقياس الوحيد هو الصلاحية لخلق حياة أفضل، وهذا المقياس نكتشفه بأنفسنا، بقوانا وإرادتنا الحرة، فى تلاحمنا مع واقعنا يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، أما الأصالة والمعاصرة فهى تجارب حية ينتفع بها عند الحاجة، وكلها تطلبها اجتهادنا الحر الدائب بغير إذعان ولا قهر.

١٩٨١/٥/٧.

نحن نولد مصريين

نحن نولد مصريين .. تلتصق بأرواحنا وأجسادنا هذه الصفة حال نخرج من الأرحام فتمس جلودنا الأرض . بل هي توجد قبل ذلك في أصلاب الآباء ، والأجداد ، فنحن نولد مصريين ، وفي معبر الحياة ننمو ونكتسب صفات جديدة ، نتفق في بعضها ونختلف في البعض الآخر ، نكتسبها عن سبل التلقين والتربية والمعايشة والثقافة والمصالح ، فتتعدد المذاهب والعقائد والأذواق والرؤى ، ولكننا نظل مصريين . وقد يشتد الاختلاف والتناقض حتى لينكر الأخ أخاه ، ويصارع الصاحب صاحبه ، ويخاصم الجار جاره ، ونفترق في الواقع والحلم ومضمون اليوم والغد والداء والدواء ، وحتى في الألفاظ والمعاني ، ولكننا نظل مصريين . وربما تطرفنا في الموقف ، وغالينا في القول ، واحتدمنا في الانفعال ، وانحرفنا في السلوك ، ولكننا نظل برغم ذلك كله مصريين . إنها ليست مجرد صفة ، إنها في الحقيقة حياة ومأوى

وملاذ وبداية ونهاية ، إنها السفينة التى تحمل الجميع وتمضى بهم على السراء والضراء. ومن حقنا أن نختلف ، فالاختلاف طبيعة الحياة ، ورمز الحرية والإبداع ، ومن حقنا أن نتجادل وأن نتنافس ، وأن يطمح كل فريق إلى تحقيق رؤياه،ولكن من حقنا وواجبنا أن نتذكر الأصل ، أن نتذكر القاعدة أن نتذكر السفينة ، فكل شىء جائز إلا أن تغرق السفينة أو تتعثر فى الانطلاق.

١٩٨١/٧/٢٣.

الثورة عن طريق العمل

طالعتنا الصحف بتوصيات لجان الحزب الوطنى، فإذا بها توصيات جامعة، شملت السياسة الداخلية والخارجية، جميع أوجه النشاط العمرانى والحضارى بشقيه المادى والروحى، وقد اعتبره مؤتمر الحزب برنامجاً تلتزم به الحكومة وتحاسب على تنفيذه فى المؤتمر القادم. وقبل ذلك اطلعنا على قرارات الانضباط، وهى تمتاز أيضاً بالشمول والجدية والطموح المشروع. وإذن فنحن لا تنقصنا الأفكار ولا النوايا الطيبة، وبتلك القرارات وهذه التوصيات نكون قد عرفنا سبيلنا ومنهجنا وأهدافنا، كما عرفنا قواعد السلوك المؤدية إلى تحقيقها على أكمل الوجوه. وأيضاً لا ينقصنا المال اللازم لتحقيقها، ولا الخبرات المحلية، ولا المساعدات الخارجية كما يؤكد المسئول الاقتصادى. وإذن فما علينا إلا أن نواصل التنفيذ ونضاعف الهمة، ونصدق فى العمل كما صدقنا فى القول. لم يعد لنا عذر أى عذر فى التردد أو الإبطاء

أو التأخير أو الإهمال . ولن نتهم بالغلو إذا طالبنا بالكمال أو تعجلنا النجاح ، وأملنا فى الشروق والنور. ولنا أمثلة باهرة فيما حققنا فى الحرب ، والسلام ، وقنال السويس ، والتنمية الشعبية . وعن طريق العمل المثمر الجاد المتواصل ستتأكد الوحدة الوطنية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، وهذه هى الثورة عن طريق العمل .

٥/١٠/١٩٨١ .

عصور وزعامات

عند التأمل نلمس توافقاً عجيباً بين الحال التى يجرى عليها عصر من العصور التاريخية، وبين السمات الجوهرية التى يتصف بها الزعيم الذى يقود مسيرته، أو أن هذا مايتفق إذا قدر لجهاد الزعيم أن يتمخض عن إنجازات مصيرية ذات شأن ووزن. يتجلى ذلك بوضوح عند مراجعة ثورة يوليو على مدى فتراتها الثلاث. ففى الفترة الأولى كانت البلاد فريسة للاستعمار والإقطاع والسيطرة الأجنبية على الاقتصاد، فكانت فى حاجة إلى إرادة مناضلة غاضبة صارمة لا تعرف المهادة أو الرحمة لتحطم القضبان والقيود والتقاليد البالية، ولتعيد خلق المجتمع على أسس جديدة تهبه شيئاً من التوازن والعدل والكرامة، وتشق له فى الصخر سبيلاً إلى حياة جديدة، ووجدت مصر فى جمال عبد الناصر الزعيم المنشود، فحقق لها إنجازات كبيرة، حررها بها من الاستعمار السياسى والاقتصادى والظلم الإقطاعى، ودفع بها فى

طريق نهضة اجتماعية وقومية لا يستهان بها ، ولا تنضب دفقاتها المتجددة .

وجاءت الفترة الثانية والبلاد تعانى من ويلات سلسلة من الهزائم المريرة، والاختناق الاقتصادى حصرها فى طريق مسدود ، وأشفى بها على اليأس ، فكانت فى حاجة إلى قلب صوفى عامر بالإيمان ، وخيال وثاب يحول المستحيل إلى ممكن ، ووجدت الفترة رجلها فى أنور السادات الذى أخرجها من ليل الإرهاب إلى نهار الأمان ، ومن حكم الاستبداد إلى حكم المؤسسات ، وانتشلها من مرارة الهزيمة إلى عزة النصر ، ومن حال الحرب إلى السلام ، ومن الاختناق الاقتصادى إلى الانفتاح والاستثمار ، بذلك وغيره جدد شبابها وبعث روحها ووضعها على أول طريق العصر والرخاء .

وجاءت الفترة الثالثة والبلاد تتردى فى التسيب والاستهتار واللامبالاة ، من أجل ذلك كانت الحاجة ماسة إلى قلب ينبض بالعدل والاستقامة والأمانة والنظام والطهارة ، وعزيمة صادقة حازمة قادرة على الفعل ، وبث الثقة فى النفوس ، ودفع الإرادة إلى العمل ، وإعادة التوازن إلى شتى الأوضاع ، وبمعنى آخر كانت الحاجة ماسة إلى ثورة أخلاقية شاملة تنعش الأرواح وتحيى السيم . وتشير الدلائل إلى أن البلاد وجدت ضالتها فى الرئيس الجديد ، فيما يشهد به تاريخه وعمله وإنجازه المأثور فى حرب أكتوبر ، وفيما نطقت به كلماته فى أول خطاب لخص فيه رؤيته العامة ، فطالب فيه بالعمل

والجدية والانضباط، داعياً بحرارة إلى المساواة والعدل والنزاهة، غير مفرق بين غنى وفقير، بين قريب وغريب، رافضاً بكل وضوح التملق والنفاق والثرثرة والخداع والإهمال والتسيب، من أجل ذلك انشرحت لنغمته الجديدة الصدور، وتوثبت الآمال، ودعت له الألسنة بالتوفيق. حقاً إنها ثورة أخلاقية طال انتظارنا لها.

١٢/١٠/١٩٨١.

هل للشباب مشكلة ؟

دعونا نتصور أن الطفل فى بلادنا يحظى فى بيته بحنان أبويه ، وغذاء حسن ، ولهو برىء يشبع خياله ويوقظ روح الابتكار فيه . وأنه يجد بعد ذلك فى مدرسته جوًّا صحيًّا وتعليماً مفيداً ، وتربية رشيدة دينية ووطنية وإنسانية ، ورياضة بدنية ، ونشاطاً فنياً متنوعاً . ولنتصور أيضاً أنه يوجه تبعاً لاستعداده ، وأنه يؤهل بحق لحياة عملية ناجحة عن سبيل حرفة أو مهنة . وأن المستقبل ينبسط أمامه واعداً بالنجاح على قدر اجتهاده ، وبإشباع حاجاته الأساسية كالزواج فى نطاق المتاح من إمكاناته . لنتصور أيضاً أننا عند مراهقته نغير من معاملتنا له ، فنعتبره لنا ندًّا فى الرأى والحوار ، ونشركه فى مسئوليات البيت والحياة باعتباره الوريث الشرعى لهما ، وأنه عما قريب سيتسلم مراكز التوجيه والقيادة ، فنحترم رؤيته فى جميع الشئون الوطنية والسياسية ، ونفسح له مجال التعبير والعمل فيها . ولنتصور بعد ذلك وقبل ذلك أننا قدمنا

له من حياتنا الخاصة والعامة نماذج طيبة فى الجد والاجتهاد والأمانة والشرف واحترام حقوق الإنسان .

إذا تصورتم ذلك فهل تتصورون إلا أن ينشأ هذا الطفل كبير القلب ، محبًّا للخير إنساناً وفخوراً بآبائه وجيرانه وزعمائه ؟ وهل تتصورون إن انحرف بعد ذلك إلا أن يكون انحرافه مَرَضيًّا نجد له العلاج عند الطبيب النفسى أو غيره من الأطباء ؟!

من أجل ذلك أقول لكم إنه لا توجد مشكلة خاصة بالشباب ، ولكن المشكلة الحقيقية هى مشكلة الكِبار الحائزين للرشد والنضج ، والممارسين لأسباب التوجيه والقيادة فى المجتمع . المشكلة هى مشكلة الكبار وما يصنعون بمجتمعهم ، وما يضيفون إلى الحياة من جمال أو قبح ، وما يعتنقون من مبادئ يعاملون بها الآخرين . هم الذين يصنعون الدراما الإنسانية فيجعلون منها ملحمة بطولية أو كوميديا سوداء ، أو تراجيديا دامية .

اللهم اهد كبارنا ، ليهتدى صغارنا .

١٩٨١/١١/٢٦ .

أغذية فاسدة فى عصر الانضباط

حتى الأغذية الفاسدة أصبحت ضمن قضايانا الملحة . وهذا يعنى أن الجشع والإهمال لا يعرفان حدًّا يقفان عنده، وأنهما فى سكرة التسيب واللامبالاة لا يتورعان عن الفتك بحياة البشر. والأدعى إلى الأسى أن تقع جريمة الجبن الفاسد فى أعقاب حملة الانضباط التى زلزلت بها الحناجر والأقلام والقوانين ، ثم ينكشف التحقيق عن إهمال تام فى تسلم أغذية التلاميذ وحفظها ، ولا يصبح الموضوع موضع نظر ومراجعة حتى تحدث كارثة ويسقط ضحايا . ولعله مما يعتبره المسئولون دفاعاً أن القوانين الجديدة لم تتعرض لأغذية المدارس المحفوظة ، وكأن الانضباط غير وارد طالما أنه لم يدرج فى قانون . والحق أن الانضباط الحقيقى نبض فى السلوك والقلوب قبل أن يكون مادة فى قانون ، بل نحن لانسن له القوانين إلا كإجراء عاجل لامفر منه فى معركتنا الراهنة ضد التسيب ، أما الهدف الأخير منه فهو أن يصير عادة سلوكية

وقيمة ينبض بها الضمير الحى. وكان على المسئولين عن الأغذية المدرسية أن يستيقظوا من الروتين اليومى، ويعيدوا النظر فى إدارتهم بروح جديدة، ويعالجوا ما ينقصها من إجراءات عند التسلم والتخزين والتوزيع، ليبلغوا بها الكمال المنشود بإنطلاقة ذاتية، استجابة لدعوة الانضباط، ودون انتظار لوقوع كارثة أو سن تشريع جديد. وهذا هو واجب كل مسئول فى موقعه، وهو ما قصده المنادون بالانضباط دفاعاً عن أنات المعذبين فى الأرض. ولن أمل من تكرار اقتراحاتى السابقة بإنشاء جهاز للمراقبة العامة أو مركز للشكاوى، أو تخصيص وكيل وزارة للانضباط فى كل وزارة أو تحقيق ذلك جميعه فى وقت واحد. وأقول أيضاً إن الانضباط ليس مجرد قضية تستوجب أكبر الاهتمام والعناية، إنه ليس قضية كالوضع الاقتصادى والمسألة الشبابية والدعم والإسكان الخ، ولكنه قضية القضايا جميعاً، لأنه الأساس الذى يضمن نجاح أى رأى ننتهى إليه فى أى قضية من القضايا. أسأل الله أن يقنعكم برأيى، أو يهديكم إلى خير منه.

١٩٨٢/١/٧.

السلوك المناسب لحياتنا

في هذه الفترة من حياتنا ــ وهي فترة انتقال عسير ــ يتعرض كل مجال من مجالاتنا الحيوية إلى إعادة خلق من جديد. فنحن نبنى صناعاتنا الأساسية ونرمم صناعاتنا التقليدية، ونقتحم الصحراء لنغزوها بالماء ونكسوها بالخضرة، ونجدد الهياكل الكبرى للخدمات، بل إننا نطمح إلى بناء الشخصية القومية على أسس جديدة وإرساء مؤسساتنا على دعائم ديمقراطية اشتراكية صحيحة، وأخيراً وليس آخراً إلى تلقين مبادئ ديننا بعد أن أوشك أن يحرفها الجموح والمغالاة. إنها حياة تتسم بالجد، وتتطلب الجهد والعناء. ومن أجل ذلك فهي تطالبنا بالسلوك الذي يناسبها، تمشياً مع جديتها من ناحية، واحتراماً للتضامن الوطني من ناحية أخرى. فالأمر يقتضي من آن لآخر إعادة النظر في الأجور الثابتة والأسعار، كما يقتضي أصحاب الدخول الكبيرة توجيه الفائض من أموالهم إلى الإنتاج بدلاً من الاستهلاك،

ويلزمنا بدعم القطاع العام وتحريره من القيود التى تعوق انطلاقه، ويطالبنا بوقف التعامل مع السلع الاستفزازية المنهكة للمال والأخلاق، والاحتفالات المظهرية المتحدية للناس والأحوال. وفى كلمة : يلزمنا الانضباط داخل النفس والضمير، لنعتنق الإخلاص فى العمل، والاعتدال فى اللهو، والبساطة حيال مطالب الحياة، وبذلك نثبت أننا على مستوى المسئولية والوعى بمتطلبات الفترة التى نعبرها بوحى من ضمائرنا ودون حاجة إلى رقابة أو تشريع.

١٩٨٢/١/٢٨.

صنـدوق الديـن

تراكمت ديوننا حتى بلغت ثمانية عشر ملياراً من الجنيهات تبعاً لآخر ما نشر عنها فى الصحف . والاقتراض يوشك أن يكون ظاهرة عامة فى عصرنا ، كأنما هو عصر الفضاء والقروض . جميع الأمم النامية تقترض وتتراكم قروضها ، وأوروبا ما نهضت من سقطتها بعد الحرب إلا بفضل القروض والإعانات ، ومازالت تقترض حتى اليوم وبعضها يقترض من دول البترول العربية . إذن لا بأس من الاقتراض ما دعت الضرورة إليه ، وعلى شرط أن ينفق فى وجوه التنمية الحقيقية ليترجم إلى قدرات إنتاجية دائمة يستخدم فائضها فى الخدمات وفى سداد القروض نفسها ، وإذا كنا بصدد تصحيح مسارنا الاقتصادى فمن واجب نواب الأمة أن يتقصّوا الحقائق عن الديون والهبات؛ ليقفوا على كيفية استثمارها ونتائج هذا الاستثمار، كى يطمئنوا ويطمئن الشعب معهم إلى أن حمل العبء ومعاناة السداد سبقتها ضرورة ملزمة حقًا ،

وواكبتها حكمة وترشيد فى السلوك والعمل،ولم يتسلل إليها تسيب أو إهمال أو انحراف. ولعله من الصواب أن ننشىء صندوقاً وطنياً خاصًا للديون يقوم بحصرها ومتابعة إنفاقها وتولى سداد أقساطها بعيداً عن الميزانية العامة، لتجنب التداخل بين القروض والإيرادادت، ولمنع التضارب بين العجز والوفر، ولكى يعلم رجل الشارع بما له وما عليه، وبالتالى ما هو مطلوب منه، حتى نخرج جميعاً من عنق الزجاجة سالمين إلى طريق التطور والانطلاق.

١٩٨٢/٢/١٨.

يقظة أهل الكهف

ذات يوم دهمتنا الحضارة الغربية ونحن رقود فى الكهف ،فوقعنا فى حيرة بالغة لم نفق منها حتى اليوم ، وكان رد الفعل أن انفجرت بيننا ثلاث دعوات مضت تتبلور مع الزمن ولا تكف عن النضال : دعوة انبهرت بالنور الجديد،فهالها ما نرزح تحته من تأخر وجمود ، فأضمرت للحاضر والماضى رفضاً جذرياً ، ونادت بإقامة صرح جديد مقتبس من الغرب فى العلم والعمل والقِيَم . وتمادى فرع من ذلك التيار فاعتنق الماركسية مؤمناً برسائلها الثورية فى الهدم والبناء .

ودعوة جفلت أمام النور الجديد وخافته أشد الخوف على أصالتها وتراثها ،فانطوت على نفسها متعلقة بماضيها المجيد وبالسلف الصالح ، منادية بإغلاق النوافذ ومحاربة كل وافد . وتمادى فرع من ذلك التيار فذهب فى التطرف إلى غايته ، فكفّر من يخالفه ودعا إلى مجاهدته بالعنف والدم .

ودعـــوة وسـط اخـتـطـت لـنـفسها طريقاً وسطاً معتدلاً يأخذ من التـراث أبـقـاه وأنـفعه ، ومن الحضارة الجديدة مـا يمكـــن استنباته فى أرضها . ووجه العجب أن السنين تمضى ومازالت الدعوات الثلاث تناقش وتطرح نفس الأسئلة ،وكأنما ندور فى حلقة مفرغة ، ومازلنا نتخبط بين النهوض والتعثر ، وكلما تقدمنا خطوة تأخرنا خطوة ، ولا أقول خطوتين ، وإنى أحمل « الوسط » مسئولية ما عانينا وما نعانى من تردد ، وما ينجم عن ذلك أحياناً من كوارث ؛ ذلك أنه هو ــ الوسط ــ الذى تولى حكم البلاد منذ نهضت نهضتها الحديثة ، فلك بذلك الفرصة ليدفع بالوطن فى طريق التقدم بالقدر الذى يحتوى المتطرفين من الناحيتين ويمحق فعاليتهم ، ولكنه لم يثبت أهليته للمهمة التى أوكلت إليه ، وبرغم إصلاحاته التى لا تنكر فقد شغل بمعارك جانبية كان يمكن تجنبها ، وطموحات تفوق طاقته ، وتراخى أمام الفساد والظلم حتى كاد يصل إلى طريق مسدود ، والمأمول أن يكون اليوم قد انتبه إلى دوره التاريخى واعترف بأخطائه ونزواته ، وصدقت عزيمته على الالتزام بالحق والسداد . بذلك يحقق للوطن حقه المشروع فى الحياة الكريمة ويجنبه ويلات التطرف .. ؟

١٩٨٢/٤/١ .

أفراح الجــلاء

قُدّر لى أن أحتفل بالجلاء أربع مرات فى حياتى : المرة الأولى كانت لمناسبة عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وبالرغم من أن الجلاء كان مؤجلاً عشرين عاماً فإن فرحتى بها وقتها فاقت كل فرحة سابقة أو لاحقة ، لأنها جاءت بعد طول عناء وكفاح ، وتضحيات متلاحقة بآلاف الأرواح ، وبعد أن أوشك أن يرسخ فى الأنفس اعتقاد باستحالة تخلى بريطانيا عن أرض مصر ، فلنُحى ذكرى أكبر زعيمين شعبيين فى حياة وطننا منذ وحدة مينا سعد زغلول، ومصطفى النحاس .

المرة الثانية كانت يوم أن جلا الإنجليز بالفعل عن منطقة القنال نتيجة لنضال ثوار يوليو، ومعجزة من معجزات ثورتهم التى بادرونا بها فى أوائل عهدهم ، فلنحى ذكرى جمال عبد الناصر رحمه الله وغفر له .

المرة الثالثة كانت يوم جلت الجيوش الثلاثة عن أرضنا عقب الاعتداء الثلاثي بفضل موقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وصمود الشعب، وإصرار رئيسه.

وها هو الجلاء الرابع والأخير إن شاء الله يتم في ميعاده، مصفياً آخر أثر سياسي ليوم ٥ يونيه الأسود. فلنتجه بقلوبنا في تحية جامعة لذكرى بطله أنور السادات، الذي فكر ودبر وغامر في سبيله بكل ما يملك الإنسان من قوة وشجاعة وإيمان، مهيئاً لجيشه الجو الصالح لتجلى بطولته التي عرفت عنه في جميع عصور التاريخ، ولنترحم على روحه في صلاة يجب أن تجمع المحبين والكارهين، المؤيدين والمعارضين. إذ لا خلاف بين مصري ومصري على يوم الجلاء. وإني لأتخيله الساعة في جوار ربه وكأنما يخاطب خصومه، مردداً قول الشاعر.

فما أَحمِل الحقدَ القديمَ عليهمُ وليس رئيس القوم مَنْ يحمل الحقدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

٢٢/٤/١٩٨٢.

ما بعد الجلاء

تم الجلاء عن سيناء فى موعده، وكان بعض معارضى كامب ديفيد يؤكدون أنه لن يتم، كما يؤكدون لدى كل مناسبة أن إسرائيل وطن الحرب والتوسع، وأنها لا تستعمل لفظة السلام إلا على سبيل المناورة، ولكن الواقع أثبت أنها وفت بما التزمت به، وأنها جلت عن سيناء برغم تداخلها فى ذكرياتها التاريخية المقدسة رغبة فى التعايش السلمى مع إحدى جاراتها، فلعل التيار العربى الذى اقتنع أخيراً بحتمية الحل السلمى للقضية الفلسطينية أن يقوى ويشتد ويتحرك، ولعل الجانب الآخر يعيد النظر فى موقفه، كى يبادر طرفا الخصومة إلى اللقاء حول مائدة المفاوضات، ويتفقا على حل معقول يسترجع للفلسطينيين حقهم المهدر، ويصون للإسرائيليين أمنهم، ويوقف الاستنزاف العربى الضائع فى التسلح، ويوفره للتكامل الاقتصادى والثقافى قبل فوات الأوان، وعلى مصر وإسرائيل أن يمضيا فى

تعاونها الاقتصادى والثقافى والحضارى بكل قوة وبلا عقد، وبلا أى محاولة للاستغلال أو التسلط، ليتجسد تعاونها نموذجاً طيباً للتعاون بين البشر، ومثالاً مشجعاً للأمم العربية على احتذائه، وليعلموا فى النهاية أن الإسرائيليين بشر من البشر بما فيهم من خير وشر، وأنهم ليسوا كما يذيع المغرضون بؤرة شر وجشع ونوايا سيئة كأنما خلقوا من طينة غير طينة آدم، أجل كما أن الحرب عبء فالسلم عبء كذلك من ناحية ما يقتضيه من حكمة وشجاعة وإيمان وسياسة بصيرة.

.١٩٨٢/٤/٢٩

جيش الحـــرب والسلام

أعلن المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع أن الوزارة انتهت من إعداد مشروع متكامل لاستغلال فترة التجنيد فى تدريب أجيال جديدة من العمال والفنيين، وأن باستطاعة القوات المسلحة توفير حوالى ١٠٠ ألف من العمال فى مختلف المجالات سنوياً، ويتم فى الوقت نفسه محو أمية الأميين منهم. وهو مشروع جليل الهدف، جم الفوائد، أملاه إدراك واسع، وتصور حكيم مرن لواجب التجنيد فى الظروف الراهنة التى تناضل فيها البلاد من أجل البقاء والتقدم. وبفضله يصبح التجنيد إعداداً للمواطن لا للدفاع عن وطنه فحسب، ولكن أيضاً للكفاح وقت السلم من أجل البناء والتعمير.

وقد جاء الإعلان عن المشروع مترجماً عن الروح الجديدة المنشودة التى تقرن بين القول والعمل، بل التى سبق فيها العمل القول، يبشرنا بأن الوزارة انتهت من دراسته فعلاً، ولأن تنفيذه يبدأ هذا العام

من أول يولية ، ثم يستمر بعد ذلك طول الوقت دون أن يمس واجبات التجنيد الأصلية . ولا يخالجنا شك فى نجاح النتائج المرتقبة ؛لما نعرفه عن الجيش من كمال فى الانضباط والإعداد والتنفيذ ، مما يوحد بين الواقع والحلم ،وبين التخطيط والتنفيذ ، وبين اليوم والغد ، ويا حبذا لو تبع ذلك تطوير لقانون التجنيد ، بحيث يقبل الصالح للخدمة والتدريب أسوة بالصالح للقتال ، باعتبار أن التجنيد بهذا المعنى الجديد واجب وطنى عام شامل للحرب والسلام لا يعفى منه إلا العاجز. حقاً إنه لمشروع جليل الهدف جم الفوائد .

١٩٨٢/٥/٢ .

عـودة الرقابـة الإدايـة

ستعود الرقابة الإدارية عما قريب ، ومما أذكره ولا أنساه أننى كتبت يوماً مقترحاً توسيع اختصاصاتها ، باعتبارها أداة فعالة لتحقيق الانضباط ، وإذا بى أفاجأ فى نفس الأسبوع بتصفيتها ، وهى ــ ومثلها جهاز المحاسبات فى ميدانه ــ منارة للمراقبة والمتابعة والترشيد ، والكشف عن أعراض التسيب والإهمال والأخطاء والانحرافات ، وتشتد الحاجة إليها بصفة خاصة فى أوقات الأزمات التى تهتز فيها القِيَم ، ويمتحن فيها الناس بشتى المغريات ، فيتعرض تبعاً لذلك الصالح العام للكثير من المحن . وعسى أن تكون عودتها إيذاناً بإحياء الاهتمام بالانضباط من جديد بعد أن بردت حرارته وأوشك أن يتلاشى فى النسيان ، حتى إننى لم أعد ألمس آثاره إلا فى نشاط وزارة واحدة هى وزارة الداخلية ، فى دأبها اليومى على تنظيم المرور فى الشوارع ، وفى إنشاء مركز للعلاقات العامة بكل قسم شرطة لخدمة

الجمهور، مما أضفى على القسم مضموناً جديداً،وبشّر بخلق علاقة إنسانية بين رجل الأمن والمواطنين، وما أجدر الرقابة الإدارية ــ بعد عودتها ــ أن تقيم لنفسها مركزاً مماثلاً فى كل وزارة، يلاحظ الانضباط عن قرب، ويحتضن شكاوى الجمهور، ليخفف من معاناة الناس التى تسوقها ظروف الحياة للتعامل مع المصالح والدواوين والتعرض لضروب من العنت والإساءة بلا وجه حق أو ضرورة؛ لذلك يجب أن تحظى الرقابة الإدارية ــ وأمثالها من مراكز المراقبة ــ بالحصانة والسلطة والإمكانات، لتؤدى واجبها على الوجه الذى يرضى الله والناس.

١٩٨٢/٦/١٠.

الحقيقة المـرة

الحقيقة المرة أن مسئولية ما حاق بالفلسطينيين وقضيتهم إنما يقع أول ما يقع على العرب أنفسهم، وأى قضية تحل عادة لصالح أحد الطرفين المتنازعين بالقوة أو لصالحهما معاً بالمفاوضة، وقد خاض العرب حروباً جرّت عليهم خسائر فادحة وأثبتت لكل ذى عقل ــ ولظروف دولية ومحلية ــ عقم الحرب، ولكنهم أصروا باسم الصمود والتصدى على موقف لا هو حرب، ولا هو سلام، ولكنه استنزاف دائم لقواهم وأموالهم. وبفضل السادات خرجت مصر من ذلك المأزق ضاربة للآخرين مثالاً للإدراك الواقعى الشديد، فانهالوا عليها بالتهم دون أن يقدموا طريقاً بديلاً. ولم يكتفوا بذلك، فأضافوا إلى موقفهم العقيم خلافات جانبية مزقتهم إرباً، بين المغرب والجزائر، وتونس وليبيا، وسوريا والعراق، وأخيراً فجرت الحرب بين العراق وإيران، لتقضى على البقية الباقية، حتى صارت العروبة رمزاً للتفسخ والضياع، بعد

أن كانت أملاً للاتحاد أو الوحدة . بذلك وهبوا خصمهم الفرصة ليحل القضية بوسيلته ، وتبعاً لرؤيته ، وتتسابق الأقلام العربية كشفاً عن المؤامرات الإسرائيلية والأمريكية ، وينسى كثير منها موقف دول الصمود والتصدى التى تخلت عن الفلسطينيين ، والحقيقة المرة أنه لا توجد إلا مؤامرة عربية ، دبرها العرب ضد أنفسهم . ولم يبق إلا أمل واحد ، وهو أن يكونوا أهلاً لتحمل نتائجها .

١٩٨٢/٦/٢٤ .

محنة راهنة .. وفجر جديد

إنها محنة بالغة القسوة، باعثة على أشد الحزن والأسى، ولكن العبرة الأخيرة فيها رهن بالخواتيم وبما تسفر عنه التجربة، وقد كشفت عن عورات كثيرة فى البناء العربى لم تكن فى الحقيقة خافية، ولكنها كشفت أيضاً عن صلابة المقاتل الفلسطينى وروحه العالية وإصراره على التمسك بحقه حتى الموت، كما كشفت عن حكمة السياسة المصرية فيما التزمت به من مرونة لمواجهة الواقع وإرساء الأساس الأول لسلام عادل على عهد السادات، ولا نريد لهذه المحنة أن تمر دون أن تثمر بعض النتائج الطيبة؛ لننتفع بها فى مستقبل محفوف بالأخطار، وقد نقلب الهزيمة إلى نوع من النصر.

١ــ لو أعلن المترددون من العرب إيمانهم بسياسة مصر وأنشئوا معها وحدة فكرية أخوية تكون أساساً لتجمع عربى جديد، ولو لم يكن شاملاً.

٢ــ لو اتفق هذا التجمع مع الفلسطينيين على الوصول إلى تصور واقعى معقول لحل قضيتهم .

٣ــ لو يعاد النظر فى استثمار الأموال العربية فيتجه بصفة حاسمة نحو الأرض العربية ، والتكامل الاقتصادى العربى ، وهو كفيل بتعويض العرب عما خسروه فى السياسة والحرب .

٤ــ لو تتحرر الشعوب العربية من الأكاذيب والاستبداد لكى تسيطر على مصائرها بوعيها وأصالتها .

لو تحققت هذه النتائج فقد نتذكر محنة العرب اليوم فنقول فى المستقبل القريب :

«كانت محنة دامية باعثة على الحزن والأسى،ولكن تولّد من ظلماتها فجر جديد» .

٨/٧/١٩٨٢ .

الطريق العربى

العرب يمرون بمحنة ، ويواجهون تحدياً ضارياً ، وهو موقف حرج أليم ، ولكنه ليس أسوأ المواقف إذا قيس بما امتحنوا به فى ماضيهم البعيد والقريب . وحسبنا أن نتذكر محنة التتار فى الماضى البعيد ، أو محنة الاستعمار فى الماضى القريب ، وأن نتذكر أيضاً كيف صمدوا للمحنتين وتجاوزوهما ، ثم توثبوا فى كل حال إلى نهضة جديدة . غير أنهم مطالَبون بإعادة النظر فى أنفسهم ورؤيتهم للحياة لمواصلة مسيرتهم ، وتحقيق ذواتهم .

١ ــ عليهم أن يتحرروا من الأوصياء الوطنيين كما تحرروا من الأوصياء الأجانب ، وأن يتحملوا مسئولية مصيرهم بأنفسهم ، ولك أن تسمى ذلك رجعة إلى مبدأ الشورى ، أو أخذاً بمبدأ الديمقراطية ، فما يهمنى هو المضمون لا الاسم .

٢ــ وعليهم أن يؤمنوا بأن خيرات بلادهم حق للجميع ، فمن كلٍّ على قدر همته ، ولكلٍّ على قدر اجتهاده ، والرحمة للعاجزين ، ولك أن تسمى ذلك تضامناً إسلامياً أو عدالة اجتماعية ، أو اشتراكية ، فما يهمنى هو المضمون لا الاسم .

٣ــ وعليهم أن يجددوا ذكر المجد الغابر حين كانت دارهم دار العقل والمعارف ، وفتح النوافذ ، وحقوق الإنسان ، يأوى إليها أهل الأديان ، وينعم بأمنها الأقليات ، ولك أن تسمى ذلك بالتسامح الإسلامى أو روح الحضارة الحديثة ، فما يهمنى هو المضمون لا الاسم .

٤ــ وعليهم أن يستثمروا فائض أموالهم فى بلادهم ، ليخلقوا من أشتاتها المتهافتة وحدة اقتصادية حضارية متكاملة ، تقدر على المشاركة فى العصر الحديث ، ولك أن تسمى ذلك أخوة إسلامية عربية ، أو فطنة سياسية اقتصادية ، فما يهمنى هو المضمون لا الاسم .

فليفعلوا ذلك ، وليفعلوه بلا تردد أو إبطاء ، أو فليذهبوا بغير سلام ليستخلف الله على أرضه من هم خير منهم .

١٩٨٢/٩/٩ .

اللامبالاة .. والأداء

أقصد بالأداء ما يتحقق بالفعل من التنمية ، وهو الثمرة الحقيقية المنشودة التى تنتظرها على لهف ضمائر الوطنيين وقلوب الصابرين المتبصرين ، قبل الوعود والأحلام ، ومصر عام ٢٠٠٠ ، ولاشك أن ثمة أعمالاً تنفذ هنا وهناك ، ولكنها ترد فى أجهزة الإعلام مبعثرة أو مختلطة بالوعود ، وقد تضيع فى زحمة الأحداث السياسية والأمنية فضلاً عن أنها لا تترك أثراً إلا فيمَن ينتفع بها مباشرة ، بالإضافة إلى ذلك فإن أزمتنا الاقتصادية لا تقهر بين يوم وليلة ، وهى تتطلب وعياً شاملاً بأبعادها ، وصبراً غير قصير حتى يلوح فى أفقها الفرج ، من أجل ذلك كله وجب أن يصدر للناس بيان دورى عما يتم تنفيذه فى جميع الأنشطة ، تراعى فيه الدقة والأمانة والصدق ، فنعرف أولاً فأوّلا وفى إطار واحد محدد ماذا حدث فعلاً من إصلاح فى الزراعة والرى ، فى الأمن الغذائى ، فى تجديد المصانع ، وأى درجات أحرزنا فى التحول

من الاستهلاك والاستيراد الاستهلاكى إلى الإنتاج والتصدير، وأى إجراءات اتخذت لضبط الأسعار ومقاومة التضخم ، وكيف يتم إصلاح التعليم وماذا يقدم لإنقاذ الثقافة والقيم الروحية ، وهل بدأنا فى احتواء سلبيات السد العالى. يجب أن نطلع على ذلك دورياً ، وقد مضت من عام الموازنة شهور أربعة تستحق نشر هذا البيان المقترح ، كى يشعر المواطن أن القافلة تسير، وأن الظلام ينقشع ، وأن خطوة جديدة انطوت فى طريق السلامة ، وعند ذاك يطمئن ضمير الوطنى ، ويجد الصابر زاداً يتزود به فى صبره ، وتتزحزح سحب اللامبالاة أمام نسائم الأمل .

١٩٨٢/١١/١١.

اللامبالاة .. والجيش

جميع الحلول المقترحة لعلاج داء اللامبالاة تقتضى وقتاً لمناقشتها والاقتناع بها ، ثم تحتاج إلى وقت آخر لتنفيذها ، فكيف نواجه الواقع وما يتطلبه العمل من قوة دفع واستمرار لا يجوز أن تتوقف لحظة بحال من الأحوال ؟ . لابد من علاج سريع مرحلى حتى نتمكن من السيطرة على الموقف بجميع أبعاده ، من هنا يجيء دور الجيش ، ومن حسن الحظ أن الجيش أدرك ضرورة التزامه بهذا الواجب قبل أن يدعوه أحد إليه ، فشارك فى الإنتاج وتنظيم القوى العاملة ، وهو يضرب فى عمله المثل المنشود فى انضباطه ودقته ونزاهته ، لحتمية قيام جهازه على الانضباط والنظام والجدية ، وعدم تسامحه الطبيعى مع التسيب أو الإهمال . وما نطالبه فى هذه الآونة إلا بالتوسع فى العمل العام حفاظاً على خطة التنمية ، وضماناً لتنفيذها فى أوقاتها المحددة مساندة للوطن فى محنته ، وتخفيفاً من معاناة الجماهير. ولا بأس من أن أعود

إلى اقتراح سبق أن قدمته فى هذه المكان منذ أشهر، وهو أن يكون التجنيد فريضة عامة لا يعفى منها أحد سوى العاجزين تماماً ، على أن تدرب الفئة المميزة باللياقة الكاملة على القتال ، أما الباقون فيقتصر تجنيدهم على إعدادهم للحياة صحيًا وتربويًا وحرفيًا كى يوجهوا مدة معينة للخدمة العامة فى المجالات التى تفتقد اليد العاملة ، أو التى أنهكها التسيب ، ثم يرجعوا إلى الحياة المدنية لمواصلة العمل فى الميدان الحر أو فى القطاع العام كيفما تدعو إليه الحاجة . هكذا يصبح لنا جيشان : جيش الدفاع ، ومهمته معروفة ، وجيش الخلاص ، من أجل البناء الحضارى فى هذه الفترة الحرجة من حياتنا .

١٩٨٢/١١/٢٥ .

المجــرم الحقيقى

الفساد ظاهرة اجتماعية لا تخلو منه بيئة ، يقترف خفية . وما إن تلمحه عين القانون حتى يضبط فى مكمنه ، وينال ما يستحق من العقاب . أما إذا تعرض القانون نفسه للعلل فهان أو ضعف ، أو نزل من موضعه الطبيعى حيث يعلو فوق الجميع ، فالفساد ينطلق من عقاله كالوحش دون وازع أو رادع ، ولا يهون القانون كما يهون فى ظل حكم الفرد المطلق أو الدكتاتورية . فما إن يستولى فرد على هذه السلطة المطلقة حتى يصير هو القانون الوحيد ، ولا يبقى لأى قانون غيره إلا اسمه . ولا قيمة بعد ذلك لنوايا الحاكم الطيبة ولا لما يعلنه من احترام للقانون والتزام بالعدل ، فواقع الحال يؤكد أن القانون فى النهاية رهن بمشيئته ، يُحترم عند رضاه ويُخرق حين غضبه ، وأن المواطنين يعيشون فى الحقيقة تحت رحمته لا فى ظل قانون مقدس ينشر مظلته فوق الجميع ، بما فيهم الحاكم نفسه . ونتيجة لذلك فإن أهل الحظوة

والمقربين ينفسح أمامهم مجال الإغراء بلا حدود، وتمتحن طبيعتهم البشرية امتحاناً قاسياً قل أن ينجو من مهالكه أحد. فإذا استجابوا للإغراء سقطوا بلا ضابط، وتمادوا بلا وازع، فأصبح الفساد على أيديهم دولة فى الدولة ولو برئ الحاكم مما يفعلون. ولعلهم من أجل ذلك ضحايا بقدرما هم مجرمون، هم فى كلمة ثمرة مرة سامة لهذا النظام الوحشى من الحكم الذى نطلق عليه حكم الفرد أو الدكتاتورية. وها هو القانون يمسك اليوم بنفر من أولئك الضحايا المتهمين، على حين أن النظام المسئول كان يجب أن يقدم للمحاكمة قبل ضحاياه. أرجو أن نستخلص من مآسينا دورسها لننتفع بها، وأن نقتنع بأنه آن الأوان لإعادة النظر فى قوانيننا؛لننقيها من أى شائبة يمكن أن تكون مدخلاً لتزييف إرادة الأمة أو مصادرة حقها المشروع فى أن تكون مصدر السلطات والرقيب عليها.

.١٩٨٢/١٢/٩

ماسورة الجيزة قالت لى ..

انفجار ماسورة الجيزة يقول أشيـــاء أرجو ألا تغيب عنا .

١ــ فهو يذكرنا بالسفه الذى أصابنا فى الماضى فورطنا فيما لا قِبَلَ لنا به من عظائم الأمور، وغيّب عن وعينا أبسط وأول الواجبات التى تشكل البديهيات الأساسية فى أى حضارة، فدققنا طبول مجد أجوف ونسينا المجارى والكهرباء والتليفونات والأمية، فلا يجوز بعد اليوم أن نعنى بصالون الاستقبال ونهمل السلم الآيل للسقوط، فالبيت لا يكون بيتاً بلا سلم، ويبقى بيتاً بلا صالون استقبال .

٢ــ وهو يذكرنا بشوارع تغمرها مياه المجارى من آن لآن وبلا انقطاع، وبأناس يسكنون الجوامع والمقابر والخيام بعد أن عز المأوى، فكيف هان علينا أن نتحلى بالصبر والتأجيل حيال ذلك؟ وهل كنا نرضى بنفس الموقف لو جرى ذلك المصير على أناس من صفوة المجتمع كما جرى عليهم فى ماسورة الجيزة؟ .

٣ــ وهو يذكرنا بقدرتنا على العمل والإنجاز إذا صدقت النية وصحت العزيمة، فالحق أن ما بذل فى مأساة الجيزة من اهتمام المسئولين، وتنظيم العمل، والتفانى فى أداء الواجب ليل نهار، وتعريض الأنفس للهلاك فى سبيل إنجازه، إن ما بذل فى ذلك لجهد عظيم يفوق فى عظمته الخيال، ويجعلنا نتساءل فى حسرة: ما بال هذه الإرادة الحديدية تختفى فى المصالح والقطاع العام، لماذا نضن بها على أنفسنا ونطويها فى طيات الخمول والتسيب والإهمال؟ أوَ لا يحق لمن يملك هذه الكنوز أن يثب للكشف عنها واستثمارها لخير الوطن والناس؟، ألا يجب عليه أن يزيل من طريقها أى عقبة تخذلها وتمتهن قيمتها المقدسة؟

٤ــ وختاماً أزجى تحية خالصة لمحافظ الجيزة على صدقه وإخلاصه وهمته، وقد كان بودى أن أحييه من قبل كمواطن فى محافظته، لأننى لم أر أديم الأرض الذى أسير فوقه كل صباح إلا فى عهده، فعرفت أن النظافة صفة فى الأشياء وليست مجرد كلمة فى القواميس.

١٩٨٢/١٢/٢٣.

حول التبرع لسداد الديون

بدأت حملة لحث المواطنين على التبرع لسد الديون ، ولا أشك فى أنها جاءت نتيجة لتفكير وطنى سديد مما يجول فى الخاطر حيال التحديات الجسيمة التى تقتضى تضامناً شاملاً وسلوكاً سامياً . ولكنها قد تبدو كدعوة للشعب فى الإسهام فى واجب لم يسبق له الإسهام فيه ، على حين أن الشعب هو الذى يقوم بكل كبيرة وصغيرة فى النشاط العام . الشعب هو الذى ينتج ، وهو الذى يخدم ، وهو الذى يمول ، بقوة العمل ، وبالمال المتحصل من الضرائب بشتى أنواعها . والتبرع يعتبر من الاختيارات الحرة بالقياس إلى الواجب المفروض القيام به على الوجه الأكمل .

فقبل أن نفكر فى التبرع يجب أن نطمئن تماماً إلى استكمال قوة العمل المبذول ، وإلى الاستفادة من الوقت بكل دقائقه ، وإلى محاربة الإهمال .

وقبل أن نفكر فى التبرع يجب أن نكون قد أحكمنا رقابتنا الضرائبية على جميع الخاضعين لها ، بحيث لا يتهرب أحد أو يعمل فى غفلة منها ، هذا ما يجب أن نحققه كاملاً شاملاً ، وعند ذاك يحق لنا أن ندعو للتبرع باعتباره زيادة فى الخير، واستجابة حقيقية لتضامن وطنى عريق .

إننا نبارك الدعوة ، ولكننا نطالب بأن تسبق بتقويم الأداء وتطهيره من الأدواء، وإلزام من لا يريد أن يلتزم بواجبه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فمهما تكن حصيلة التبرع فلن تكون أكثر من نقطة فى بحر الديون ، ولذلك فلَعلَّه من الأفضل أن توجه إلى ميدان الإنتاج لتدور فى عجلته المكرسة للتنمية الاقتصادية على أن تعين الأرباح على سداد الديون ضمن ما تؤدى من خدمات أساسية للفرد والمجتمع .

ولعل خير مجال تستغل فيه هو مجال التكامل المصرى السودانى فنُصيب أكثر من هدف برمية واحدة . والله الموفق .

١٩٨٣/١/٢٧ .

متى نعرف قيمة الوقت ...؟

يبدو أن العرب لا يرغبون فى اتخاذ خطوة جديدة قبل أن يتم الجلاء عن لبنان ، أو على الأقل قبل أن يتم الاتفاق على ذلك . ولهذه السياسة ما يبررها ، فهى تتسم بالحكمة والمنطق ، إذ أن الجلاء عن لبنان هو دليل ما من ناحية إسرائيل على الرغبة فى حل المشكلة ونفى الشبهة عن أطماع توسُّعية ، فضلاً عن أنه من ناحيتنا يمهد السبيل الجدى إلى الاستقرار فى وطن شقيق ينعكس ما يجرى فيه إيجاباً وسلباً على المنطقة العربية ككل . ولكن الوقوف عند ذلك دون الانتباه إلى عامل الوقت ينذر بضياع فرصة قد لا تعود فى الزمن القريب ، ويعرض المنطقة لتوتر يسير بها من سيئ إلى أسوأ .

والاعتماد الكلى على الولايات المتحدة قد يصيب وقد يخيب وأظن أن أكثر المتفائلين من المعتدلين يعانون ولاشك شيئاً من خيبة الأمل فى هذا المجال ، فلا مفر من الاعتماد على النفس مع انتظار

التحرك الأمريكى، وكوسيلة أيضاً لتحريكه. فإن يكن في نية العرب الدخول فى مفاوضات مع إسرائيل فلا أقل من أن يمهدوا الطريق إلى ذلك بالاعتراف بها، ولعل ذلك يكون من الأسباب الإيجابية فى إنجاح المفاوضات الجارية فى لبنان لتحقيق الجلاء المنشود، بل لعل الدخول فى المفاوضات المنتظرة أمامه عقبات من طريق المفاوضات الجارية، وهى تلك العقبات الناشئة أساساً من موقف اللاحرب واللاسلم بين العرب وإسرائيل، مثل التطبيع والأمن. لابد من حركة حاسمة لمواجهة الموقف، وكفانا ما ضاع من عمر وأموال تحت شعارات غير واقعية حتى تكشفت الحقيقة المرة عن موقف المتطرفين المخزى فى الحرب بين الجيش الإسرائيلى العرمرم وقلة من الفدائيين الأبطال، ولا يكفى أن نتعلم من الأحداث، ولا أن نعرف فى النهاية الطريق الصحيح، وإنما علينا أن نسير فيه دون تردد

١٩٨٣/٢/١٠.

ماذا تعنى اسرائيل ..؟

يؤمن كثيرون من العرب بأن إسرائيل عصابة من الاستعماريين العنصريين المتعصبين ، لا أمل فى أن يجنحوا بإخلاص إلى السلم والتفاهم أبداً ، وأنهم إذا اضطروا إلى السلم فى وقت ما تعاملوا معه كهدنة عابرة أو خطة موضوعية ينفذون منها بوسائل شتى إلى تحقيق حلمهم فى استغلال المنطقة واستعبادها ، وإجبارها على البقاء فى هاوية التخلف إلى ما شاء الله ، فإذا هبت فى إسرائيل معارضة ضد سياسة العنف ولوح رجالها بالسلام اعتبروها تمثيلية ساخرة وتوزيعاً للعمل الذى يستهدف فى النهاية غاية واحدة لا يختلف فيها اثنان ، حتى لجنة التحقيق وما أجرته من تحقيقات ووجهته من إدانات ، فما هى بالدليل على ديمقراطية حقيقية ، ولا تعبير عن ضمير أخلاقى مستقيم ، ولكنها فصل جديد من فصول التمثيلية ، وحركة من حركات اللعبة ، غير أنه من ملاحظة السياسة العربية الجارية ومتابعة بعض

مفكريها يمكن القول بأن ذلك الرأى غير مسلم به من الجميع ، فعلى الأقل لا يمكن أن يؤمن به الذين يسعون إلى إقامة سلام عادل فى المنطقة ، والذين هم على استعداد للانضمام إليهم فى الوقت المناسب ، بل إن زعيم المجاهدين الفلسطينيين لا يسلم به فيما أرى طالما أنه قَبِلَ حواراً مع بعض زعماء المعارضة الإسرائيلية ، ووجد فيهم أهلية للحوار والتفاهم ، ولعله رأى سليم يقتضيه التلاحم البشرى ويقره التاريخ ، وأقل ما يمكن أن يقال فيه إنه يستحق أن يجرب ولو مرة كما جربت الحرب مراراً وتكراراً ، وواجب علينا فى هذه الحال تشجيع الفريق المعارض وتصديقه بدلاً من إظهاره بمظهر الماكر المناور، ولعل التجربة تسفر عن سلام عادل شامل فى نهاية المطاف . ونحن الذين غامرنا بسلسلة من الحروب ونحن دون المستوى اللائق لها-لا يجوز أن نخاف حمل أمانة السلام وتبعاته وتحدياته .

١٩٨٣/٣/٣ .

رسالة المؤتمر

نتطلع اليوم إلى مؤتمر عدم الانحياز باهتمام، فهو يناقش موضوعات، بعضها يهمنا كمواطنين فى هذا الشرق المنكوب بمشكلاته، والبعض الآخر يهمنا كمنتمين إلى العالم المنكوب بمشكلات لا تقل عن تلك خطورة وأثراً. وقد يتفق المؤتمر معنا فى وجهة النظر، وقد يصدر من التوصيات ما يؤيدها، ولكن ما قيمة التوصيات من الناحية العملية إذا كانت قرارات هيئة الأمم نفسها تمضى بلا ثمرة ؟!.

على أنه يوجد مجال واحد على الأقل يستطيع المؤتمر إنْ وُفِّق فيه أن يغير من حال العالم ويفتح له طريقاً إلى مصير أفضل، وذلك إذا نجح فى إيجاد حلول للخلافات التى تمزق العديد من دول العالم الثالث، وإذا استطاع إقناعها بألاّ تلجأ فى حل مشكلاتها المتداخلة إلى الحرب. فلا شىء يسىء إلى العالم الفقير كما تسىء إليه الحرب،

هى التى تزهق أوراح شبابه، وتبدد الكثير من ماله، وتغرقه فى الديون. هذا وإن الدولتين العظميين اللتين تتجنبان المواجهة تجنباً لفداحة العاقبة تدفعان غيرهما إلى حروب «تقليدية» تحقق كل منهما بها سياستها وهى فى أمان من المواجهة وعواقبها، فنيابة الفقراء الضعفاء عن العالم فى شن سلسلة من الحروب تستنزف أرواحها وتعرقل نموها ونهضتها وتشدها إلى مجال النفوذ طلباً للمال والأمان. ما هى إلا لعبة قذرة نقع فى حبائلها حتى أصبحنا من خوف الموت فى موت، ومن خوف الفقر فى فقر، ومن خوف الهزيمة العسكرية فى هزيمة معنوية اختيارية أبدية. إذا نجح المؤتمر فى إنقاذ الفقراء من شبح الحرب فقد أنقذهم من عقدة الشرور، ودفع بالدولتين العظميين لتحمل مسئوليتهما مباشرة، ومواجهة مصيرهما دون وسيط، فإما حرب لا تبقى ولا تذر تقع أول ما تقع على أصحابها، وإما سلام شامل دائم يعم الأرض جميعاً.

١٩٨٣/٣/١٠.

عودة إلى حديث الديون

إنه حديث ذو شجون. والديون فى ذاتها ورطة لم تنج من الوقوع فيها أمة من أمم العالم الثالث، بل وكثرة من الأمم المتقدمة، وقد نسلم بها شريطة أن تدعو إليها ضرورة لا بديل لها، وأن توجهها سياسة حكيمة تستثمرها فيما ينفع الناس، ويقال فيما يقال إن ديوننا تراكمت فى عصر الانفتاح، وإنه لا دخل فى تراكمها لحرب اليمن أو ٥ يونية وغيرهما من الحروب، وممن يأخذ بهذا الرأى الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين، كما ورد فى إحدى يومياته، وهو عندى مصدق وثقة، فأنا أسلم برأيه، ولكننى أسأله عن اليمن و٥ يونيو وسائر الحروب كم استهلكت من أموالنا؟ وألم تتوقف خطة التنمية عقب عام ١٩٦٧ علماً بأن ثورة يولية قامت ورصيدنا دائن وإنجلترا مدينة لنا؟. وألم يكن من الجائز لو جاء عصر الانفتاح فوجد الخزانة عامرة ألا يضطر إلى الاقتراض، أو يقترض شيئاً معقولاً؟. المسألة أنه جاء فى أعقاب إفلاس، أو

ما يشبه الإفلاس ، فاعتمد على الديون فى توفير احتياجاته ، بدءاً من لقمة العيش وحتى الصاروخ . فثل العصرين كمثل أب وابن ، اتفق للأب أن وجد مالاً وفيراً ، استثمر منه ما استثمر ، ثم تعرض لمغامرات لا قبل له بها أتت على جميع ما يملك ، بالإضافة إلى قدر من الديون . ولما خلفه ابنه لم يجد ما يقيم به أوده إلا الاستزادة من الديون ، سواء لإنفاقها فيما ينفع أو فيما لا ضرورة له ، وخاصة فى الظروف التى اكتنفته ، وقد يبدو عند المقارنة العجلة مثالاً للنزق والإسراف بالقياس إلى أبيه . ولكنها مقارنة تتناسى أن الأب قد بدد أصل المال نفسه ، وتورط فى شيء من الدين ، وبعد فما هدفى أن أقارن بين عصرين ولا بين رجلين ، وإنما أود أن نتذكر دائماً أن الانحراف عن القصد هو الذى يستهلك المال بلا حساب ، ويبدده بغير حكمة ، ثم يورثنا الهموم والمتاعب .

١٩٨٣/٣/١٧ .

موقف من الفساد

نحمد للعهد القائم نشاطه فى محاربة الانحراف والفساد ، وملاحقة الخاطئين مهما تكن مكانتهم فى الدولة ، أو سابقتهم فى الخدمة العامة . وهذه سياسة رادعة للشر فى مكامنه ، ومؤكدة بأنه لا دوام لحماية يستظل بها المنحرف فيتوهم أنه فى أمان من القانون. ونظرة إلى الانحرافات التى ابتلى بها مجتمعنا تشير إلى مركز ثابت تستند إليه على اختلاف العهود هو (النفوذ) والاعتماد عليه فى تخطى القانون ، والعبث بالقِيَم ، والحومان حول أصحاب النفوذ ، والاستجارة بهم فى تحقيق المنافع ، والامتيازات داء قديم فى حياتنا ، وتقليد ثابت يمارس كما تمارس الطقوس الدينية ، ولكن خطره يستفحل بلا حدود فى الحكم المطلق ، حيث يعلو الحاكم ومن يلوذون به من مراكز القوى فوق القانون ، فتنطلق قوى الشر بلا حذر فى سباق مخيف جارفة فى طريقها أى معترض، مرتكبة من الجرائم ما يفوق تصوره أى خيال ،

وما ينجو من هذه الدوامة إلا أحد اثنين : إما رجل لا حول به ولا أى صلة بأى مركز نفوذ ، وإما رجل أوتى من قوة الشخصية ما يضعه فى مراتب أبطال التاريخ . وفى مقدمة الضحايا لمثل هذا النظام الموظفون العموميون ، بدءاً ، من الوزراء وحتى الخفراء ، فمن ذا الذى ستظنه منهم أن يقول لا ، وأن يرفض الشفاعة وهو يعلم أنها متمتعة بالحظوة لدى المسيطر على الحياة والرزق ، ألم يعتز القضاء المقدس ذات يوم برأيه فقضى عليه بالرفت فيما سمى بمذبحة القضاء ؟ فماذا يسع الوزير أو الخفير؟ من أجل ذلك أرجو ألا نعتبر محاكمة البعض أو عزل الآخرين هو الدواء الناجع لهذا الداء المزمن ، ولن يكون العلاج إلا بسيادة القانون الحقة فى ظل الديمقراطية الحقيقية ، وإلا باحترام المساواة بالقول والفعل ، واعتبار الوساطة جريمة من الجرائم الاجتماعية الكبرى ، أما القناعة بالمحاكمة والعزل فبمثابة من يعالج دملا بمرهم ، تاركاً الداء الحقيقى ينفث سمومه فى أعماق الصدر أو المعدة .

١٩٨٣/٣/٢٤ .

درس البترول

جاءت أزمة البترول لتذكر العرب بأن عصر البترول إلى زوال شأنه شأن جميع العصور، ولعلها فرصة لإعادة النظر فى موقفهم كله حيال فترة سعيدة سخية لا تتكرر، كأنها امتحان للإنسان، فإما أن يخرج منها سالماً غانماً أو ملوماً محسوراً، ومن قديم عرف أن ثراء البترول لا دوام له، ولكنه إذا حسن استغلاله برؤية شاملة، وبصيرة نافذة، وعقيدة مخلصة-فقد يكون المخرج للعرب من ظلمات التأخر إلى نور الحضارة، ولكأن العقل يطالبهم بحل مشاكلهم والفراغ للبناء فى ظل التكامل الاقتصادى والثقافى، ولكنهم للأسف وقعوا تحت مظلة الشعارات فى شرك دولى مخيف استنفد البلايين من أموالهم فى شراء سلاح لا يستعمل، واستهلاك ترفى لا ضرورة له، ومزقهم بالخلافات الجانبية، فأهدرت بلايين أخرى فى حروب غبية، ومؤامرات عالمية، وصارت المنطقة مثالاً فى التمزق والفوضى والانهزامية، وهى التى تعتبر

بحكم التاريخ والثقافة واللغة والجوار أسرة كبيرة واحدة، فهل ثمة أمل فى إعادة النظر برؤية صافية تتجاوز الأنانية، والأحقاد، وهل ثمة أمل فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه بالإيمان الواجب، بالاعتماد على النفس، والاهتداء إلى الهدف الصحيح، والاندفاع القوى المكين نحو سياسة التكامل الاقتصادى والثقافى، باعتبارها السبيل الوحيد المفضى إلى الحضارة والتقدم والقوة والكرامة، كأنهم نسوا الخلافات التى مزقتهم قديماً والتتار يحدقون ويدقون أبوابهم، واليوم تمزقهم خلافات أدهى وأمر، بينما عدو أشد شراسة من التتار يتهددهم هو التخلف، التخلف فى عصر ينطلق فيه التقدم بسرعة الصاروخ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

١٩٨٣/٣/٣١.

بأية حال عدت يا عيد ؟

ها نحن نحتفل للمرة الثانية بتحرير سيناء ، وهو حدث يستحق أن نحتفل به ، وأن نسعد بذكراه ، وأن نتذكر بكل إجلال وإكبار صاحب الفضل الأول فى إنجازه ، الرئيس الراحل أنور السادات . ففى سبيله خاض حرباً مشرفة ناجحة لأول مرة منذ عصر محمد على ، وفى سبيله أيضاً غامر بسياسة جريئة رائدة زلزلت موقف التجمد الذى انحصر فيه العرب ، وخلقت منطلقاً جديداً لمن يريد أن يعمل . حقاً يجىء الاحتفال فى ظروف جديدة اكتنفها الشر والسوء والدم والدموع وخيبة الرجاء ، يجىء بعد غزو غشوم ومذبحة وحشية فاضحة ، ولكنها على أى حال تمخضت عن موقف عربى جديد ، واقعى وحكيم ، ويعتبر فى روحه رجوعاً بطريقة أو بأخرى إلى خط السادات ، واعترافاً برؤيته . وكان يمكن أن يقع هذا التحول دون تجربة مريرة قاسية ، ولكن حكمة الرئيس الراحل فى سياسته الخارجية قد تعرضت

للعبث وسوء التقدير من الطرفين: الإسرائيلى والعربى جميعاً. خرج الحاكمون فى إسرائيل عن أهدافها، ولجئوا مرة أخرى للحرب كوسيلة لحل المشكلات وكسب الغنائم، فأساءوا إلى الأبرياء ولطخوا أنفسهم بعار لا يمحى أبد الدهر. وأساء العرب فهمها ووقفوا منها موقف الرفض والتحقير، فكان موقفهم أحد الأسباب التى أدت إلى مضاعفات الغزو للبنان، وما جره من بلاء على الفلسطينيين واللبنانيين. والحق أن السادات لم يحل مشكلة فحسب، ولكنه قدم مثالاً ناجحاً للعمل الناجح لم يفهم فى حينه. وأظن أنه آن لنا اليوم أن نتحرك وأن نواجه التحديات بما تتطلبه من عزيمة وشجاعة ومرونة، ولعلنا نحتفل فى العام القادم بتحرير سيناء وقد تحررت جميع الأراضى العربية المحتلة، واستقر الفلسطينيون فى دولتهم المنشودة، فنفرح فرحاً لا تشوبه شائبة ولا تعكره ذكريات دامية.

.١٩٨٣/٤/٢١

شىء من العنف العادل

مررنا بظروف تعتبر محنة للأخلاق والقيم، فلم يسلم منها ممن يتعاملون معها إلا ذو المناعة الفائقة التى لا تتيسر إلا للقلة من الرجال، ظروف تخاذل فيها القانون وهان أمام القوة والنفوذ، ونشط الانتهازيون وانتشروا بلا وازع ولا رادع، وانقلبت الموازين فانهالت الأموال على أناس بغير حساب، وتعذرت المعيشة على آخرين إلا بالصبر والجهد، وعم الفساد واستفحل حتى صار ظاهرة عامة كأنه الأصل لا الاستثناء، وتتابعت أنباء الأطعمة الفاسدة، وتجريف الأرض وسقوط المبانى الجديدة وغيرها. وقد شرعنا فى المقاومة بتصميم بيّن سيكون له شأنه فى إصلاح الأمور وتنقية الجو، وتهيأت لنا قدوة صالحة تستطيع بفضل صلاحها أن تُقوّم المعوج دون حرج، وأقبلنا على العمل البنّاء بعزيمة صادقة تبشر بخير طالما أن العمل هو الذى عليه المعول فى إعادة المجتمع إلى توازنه وإشباع حاجاته، وتحقيق

العدالة الاجتماعية بين أفراده. غير أن للقانون دوراً فى الإصلاح يجب أن يحظى بكل عناية، فعلينا أن نعيد النظر فى قانون العقوبات ومدى ملاءمته للظروف الطارئة، والأمراض الاجتماعية الجديدة، وتوافقه مع رغباتنا فى القضاء على الإهمال والتسيب، والاستهتار بالأرواح والأموال العامة، ثم يجيء دور أجهزة الرقابة فى تنفيذ القوانين ومطاردة المخالفين. يجب المبادرة إلى ذلك بنظرة شاملة بدلاً من الانتظار حتى تدهمنا الكوارث وتحركنا الفواجع، ولن يستقيم لنا الأمر فى هذه الفترة بالمواعظ والتربية التى نجنى ثمراتها على المدى الطويل، ولكننا فى حاجة إلى العنف العادل نصبه على المنحرفين من كافة الأنواع دفاعاً عن الأرواح والأموال والتنمية وسائر القيَم، بل دفاعاً عن مصير الوطن والمواطنين.

.١٩٨٣/٥/١٩

حول هدف أعلى

لكل عصر هدف أعلى يستقطب العقول والإرادات حتى لتدور بقية الأهداف فى فلكه كما تدور الكواكب حول الشمس. من أمثلة ذلك أن الدعوة لليقظة والوعى كانت الهدف على عهد الاحتلال البريطانى فيما قبل ثورة ١٩١٩، وأن الاستقلال التام والديمقراطية كانا الهدف فيما بعد الثورة، ولو تساءلنا اليوم عن الهدف الأعلى لحق علينا أن نتفق على أنه التنمية الشاملة التى تتجسد أولى خطاها فى الخطة الخمسية الأولى. هى الأمل فى الخروج من الأزمة لاسترداد التوازن ثم السير الثابت نحو الانطلاق، وهى الامتحان للحزب الحاكم فى قدراته وإدارته ووعيه، وهى المقياس الأول الذى على أساسه يجب أن يجرى الاختيار او الاستغناء عن الرجال، وهى النشاط الجانبى الذى يجب أن يدعى الشباب للمشاركة فيه بالتفكير والعمل، وهى

الدعوة التى يجب على أجهزة الإعلام أن تبثها بين الجموع ليعرف كل مواطن ما ينبغى له ومالا ينبغى فى موقعه حيث يكون .

أجل إن الدولة تختص بالعمل الأكبر فى الخطة التى تضعها وتنفذها وتتابعها وتلاحقها بالمراجعة والضوابط ، ولكن الشعب له دور أيضاً ، وهو أن يتحلى بالأخلاق العامة التى يجب أن تسود فى وقت البناء والتنمية ، وهى أخلاق تقوم على الانضباط والاقتصاد ، وتجنب الإسراف ، وتوجيه الفائض من نقوده إلى قنوات الاستثمار ، وبديهى أننى أقصد بذلك المواطنين القادرين لا المطحونين ، أولئك الذين بإسرافهم يخرجون بغير سوء نية ، ويضاعفون من عذاب المطحونين بغير قصد ، ولكن بإغراء من الرعونة والأنانية واللامبالاة ، وواجب الإعلام فى هذه الناحية أن يدعو لهذه الأخلاق ، وأن يبين لكل فئة دورها فى العمل الكبير ، لتصبح التنمية واجب الدولة والشعب جميعاً وبهذه المناسبة فإنى أطالب بطبع الخطة الخمسية بكامل تفاصيلها وبلغة سهلة يفهمها القارىء العادى ، وتوزيعها على أوسع نطاق ليطلع المواطن على خطوات البناء ويستشف صورة المستقبل .

١٩٨٣/٥/٢٦ .

الحكمة المنشودة

عالمنا العربى ، وغالبية الدول النامية ، تتخبط فى تيه لا تدرى كيف تخرج منه أو لا تريد أن تخرج منه . إنها جميعاً تسعى إلى التغلب على التخلف بالتنمية الشاملة ، وفى سبيل ذلك تستدين من الأمم المتطورة التى عاشت طويلاً تحت وصايتها ووطأة استغلالها ، وفى الوقت نفسه تبدد أموالاً فوق طاقتها للتسليح والاستهلاك ، ويتضمن الأخير جزءاً لا يستهان به من البذخ والترف . والنتيجة أنها تغرق فى الديون دون أن تحقق التنمية المنشودة ، أو دون أن تحققها على الوجه السديد ، فهى فى حاجة إلى الانضباط والحكمة ، ولن يتأتى لها ذلك إن لم تعد النظر فى موقفها من الحياة ككل ، بمعنى أن تعزم عزيمة صادقة على حل مشكلاتها الخارجية ولو بشىء من التنازلات ، وأن تواجه مطالب الحياة بحزم يحفظ لها الضروريات ويفطم تطلعاتها للإسراف السفيه ولو ببعض التقشف . عند ذاك ينزاح عن كاهلها

عبء التسلح الجنونى الذى تزهق به أرواحها ، وتدخر الأموال التى تتلاشى هباء ، فتنقذ مستقبلها من التدهور والانهيار ، وتحقق القدر الضرورى من الحضارة التى لاغنى عنها فى هذا العالم المندفع بسرعة الصاروخ فى مجالات التقدم والإبداع ساعة بعد أخرى . وهاهى مراكز إحصاء التسلح العالمى تعلن من حين لآخر أن منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق شراء للسلاح ، وتذيع عن ذلك أرقاماً خيالية ، لو أن العرب أنفقوها على تكاملهم الاقتصادى والثقافى لجعل منهم أمة زراعية صناعية متطورة ، تحقق لنفسها الاكتفاء الذاتى ، وتكرس نفسها مصدراً من مصادر الغذاء فى العالم .

كل ذلك يمكن حسابه بالأرقام ، فلا هو من الأحلام ولا الأساطير . وبمقارنة بسيطة بين مايمكن أن يكون وبين ما هو كائن يتبين لك الفرق بين الحكمة والضلال . وقد قلنا لهم هذا الكلام يوماً فى إحدى صحفهم السيارة فكان جزاؤنا أن وضعنا فى القائمة السوداء ، قائمة الخونة للقضية العربية . فيأيتهــا القضية العربية ، كم من الجرائم ترتكب باسمك .

١٩٨٣/٦/٣ .

داء الامتيـــازات

تلزمنا تقاليد جديدة لكى نجعل من مجتمعنا مجتمعاً أخلاقيًا، فثمّةَ أدواء مستوطنة تهبط بحياتنا عن المستوى المنشود. أدواء تنزل أفدح الأضرار بالعدالة، وإرادة العمل والكرامة. وأبدأ بالحديث عن واحد منها، وهو داء الامتيازات، لقد ألغينا الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧، ولكن بقيت الامتيازات (الوطنية)، امتيازات مراكز القوى بأنواعها من إدارية وطبقية ومالية وعائلية، بقيت لتفسد حياتنا، وتملأ أنفس الشباب بالسخط والتمرد. ولو كانت أسلوباً استثنائياً من العمل يلجأ إليه فى النادر من الأحوال لهان بعض الشيء، ولكنها القاعدة الأساسية، والفريضة التى لا تغيب. الوساطة هى المدخل لكل شيء، عند الاختيار للمراكز المرموقة، فى المعاملة التى يلقاها الفرد فى الوزارات والمصالح، فى نيل ما هو حق وما ليس بحق. تعمل بغير حياء مفرقة بين المواطنين، مهدرة الكفاءاتِ والقيَمَ، مثيرة للحزازات

والفتن، مصرة على حرماننا من حياة نظيفة تقوم على العدل والفضيلة والعقل والقانون. هناك عشرة فى المائة ينعمون بالأمان والجاه وحسن المعاملة، ويكابد الباقون وحشية البيروقراطية ووقاحة الظلم أو ــ فى أحسن الأحوال ــ سوء الإهمال والتسيب. ولا علاج لهذا الداء إلا بسد الثغرات التى يتسرب منها، ولن يتأتى ذلك إلا بالرقابة الساهرة على مطالب الجمهور ومايلقى من معاملة، وإيلاء كل شكوى ماتستحقه من عناية ورعاية. واعتبار الواسطة فساداً مما يعاقب عليه القانون، وأن تكون العقوبة رادعة لمانح الامتياز وطالبه والمستمتع به على السواء. إن كل شدة تهون فى سبيل اقتلاع هذا الداء من مكامنه، ولكى تنبض به الضمائر مع الزمن بلا حاجة إلى رقابة أو قانون.

١٩٨٣/٦/١٦.

٥ يونيــــة

قد تحمل الذكرى السيئة من العبر مثلما تحمل الذكرى الطيبة أو أكثر. ونحن لا نرجع إلى الماضى للبكاء على الأطلال أو تجديداً لنشوة الأفراح فحسب، ولكن لنقتبس من عِبَرِهِ ما ينوِّر لنا الطريق ويسدِّد الخطى فى الحاضر والمستقبل، ولولا ذلك لكان يوم ٦ أكتوبر بإنجازاته الباهرة خليقاً بأن ينسينا يوم الهزيمة ويقلعه من أعماق وجداننا. والحق أننا لم نبل بهزيمة فى ٥ يونية كالهزائم التى عرفها التاريخ، بمعنى أن جيشنا لم يخض حرباً دارت فيها الدائرة عليه، ولكنه تلقى أمراً بالهزيمة فانهزم. فالهزيمة جاءته من الخلف لا من الأمام، وكان اضطراب قيادته هو المظهر الأخير لسلسلة طويلة من الانحلال نخرت فى بناء الدولة والشعب، وحتى لم تكد تبقى منهما على شىء. ولا يتسع المجال الآن لتشخيص الأدواء جملة أو تفصيلاً، ومن حسن الحظ أن المؤرخين الراشدين عاكفون على ذلك بالاهتمام الجدير به. حسبى أن

أذكر داءً واحداً كان يكمن وراء الأدواء جميعاً ومنه تسلسلت وتضخمت، هو داء الاستبداد الذى جعل من الدولة محكمة تفتيش كبرى تنشر الإرهاب والفزع، ومن الشعب ضحايا مسلوبى الأمان والإرادة. وما كان لأمة يحكمها الخوف وتستحوذ على أبنائها الغربة السلبية أن تحقق نجاحاً حقيقيًّا فى حرب أو سلم. لنتذكر ذلك، وليذكر بعضنا البعض، فالظاهر أن البعض ينسى، وهو فى نسيانه يتطوع سرًّا للنعى على مسيرتنا الديمقراطية بعض الهفوات العابرة فيحرض على إجهاضها أو تكبيلها بمزيد من القيود، وما أبرئ الديمقراطية من هفوات وأخطاء، ولكن نـــار الديمقراطية ــ كما يقول المثل الشعبى ــ ولاجنة الاستبداد، وما الحنين إلى الاستبداد إلا حنين وحشىّ إلى الأنانية والظلم والفساد والهزيمة. هذا ما يقوله لنا ٥ يونية فلنحفظه عن ظهر قلب.

١٩٨٣/٦/٣٠.

عام جديد من التنمية

أدبر عام وأقبل عام. وتطن أرقام المتابعة المالية والفنية أن العام المدبر إيجابى فى ثمرته، وشاهد على التوفيق، ولاشك أن المسئولين سيولونه الفحص الجدير به. وسيتعقبون أى ثغرة فيه بما يضمن تنفيذاً أكمل فى العام الجديد، ونحن نأمل أن يكون عام من زمن المعاناة قد ولى، وعام من عهد الفرج قد أقبل. أجل لعل التوفيق لم تتجل آثاره فى الحياة اليومية بعد، فنحن مثل غائص فى الماء قد رفعت من فوقه طبقات من الماء ولكنه لم يزل راقداً تحت سطح الماء، غير أن التوفيق والجدية والإخلاص تستوجب الصبر، وتضفى على الصبر معنى، والحق أنه فى سحب مظلمة من الإهمال والاستهتار تلوح الخطة نقطة مضيئة باسمة، فلتزد اتساعاً وتألقاً حتى تتبدد سحب الأحزان. ونظرة على الميزانية الجديدة تؤكد أن خطى الإنتاج ماضية فى الثبات والنمو، وأن همة كبيرة تبذل لتشجيع الصادرات، ويصاحب ذلك اتجاه حكيم نحو

رفع الضرائب على الدخول الكبيرة ، مع بذل الجهود الصادقة لإحكام القبضة على المتهربين من الضرائب ، مع التصدى الجاد للتضخم بتخفيض النقود المتداولة وترشيد الإنفاق وهذا فى جملته لا يعنى تنظيماً للحياة الاقتصادية فحسب ، ولكنه يهدف فى الوقت نفسه إلى العناية بالجانب الاجتماعى ، فيحقق قدراً من العدالة الاجتماعية ، كما يضيق الهوة بين الفوارق الطبقية ، ويقدم إسعافات عاجلة إلى الموظفين الذين أنزلهم الانفتاح الاستهلاكى فى أدنى منازل الكادحين. التنمية الشاملة هى معركة اليوم والغد ، وهى معركة يجب أن يمتلىء بها كل وجدان ، وتشترك فيها كل إرادة .

١٩٨٣/٧/٧ .

لا نجهل عيوبنا .. ولكن !

هنا داء لا يجهله أحد، وحياتنا العامة تذكرنا به من يوم لآخر، لتكراره النمطى الداعى للأسف، وخير ما يمثله المثل العربى القديم الذى يقول : «يمسى على حر ويصبح على بارد». فعند طرح مشروع أو تأزم معاناة مما يعانى الناس تنفجر فورة حماس تندلع على ألسنة المسئولين وترددها أجهزة الإعلام، وتتناقلها الألسن فى البيوت والشوارع، وتنعقد العزائم على الانقضاض عليها، ويترجم ذلك كله إلى فعل حاسم يسهم فيه كل من له صلة بعمله، حتى ليظن المواطن أننا تخلصنا من سلبية بصفة نهائية وإلى الأبد. وتمر أيام فتتطاير الحرارة شيئاً فشيئاً، وتنخفض الأصوات، وتتلاشى الضجة، وتفتر الهمم فتكف عن العمل، ثم يعود كل شىء إلى سيرته الأولى، وتسدل الستار. وهذا يعنى أننا لا نجهل عيوبنا، ولا نخلو من رغبة فى علاجها، ولكننا لا نتحلى بالإرادة القوية المصرة على أداء الواجب.

وهو يعنى أيضاً أن الاجهزة المسئولة متراخية فى حمل أمانتها ، لاعن عجز بدليل أنها تثبت كفاءتها فى أثناء الضجة ، ولكن عن كسل ولا مبالاة. ولاعلاج لذلك إلا بالمراقبة الساهرة والمتابعة الدائمة ، على أن يمتد عملها إلى كل موقع ، دفاعاً عن الجمهور من أن يصيبه أى عنت ، واتقاء لأى سوء يلحق بالصالح العام ، وأود أن أذكرك بأنه لاتنقصنا القوانين ولا الرجال ، ولكن تنقصنا الهمة والإرادة والشعور الحى بالواجب. ومن لم يحركه الضمير حركته الرقابة والمتابعة والعقاب. بذلك ننتقل من مشكلة إلى مشكلة فى خط سير مستقيم مطرد بدلاً من الدوران فى حلقة مفرغة ، ودون ثمرة.

١٩٨٣/٧/٢٣.

مزيد من السيارات

تَعَذَّرَ عَلَيَّ إدراك الحكمة وراء بعض وجوه النشاط فى خطتنا الكبيرة ، فبدت لى كأنما تجرى فى واقع غير واقعنا ، بل كأنها تهدف إلى مضاعفة متاعبنا .

قرأت فى الصحف أنه «تقرر زيادة تصنيع سيارات الركوب إلى ٤٥ ألف سيارة خلال سنتين ، يتم إنتاج ٢٢ ألف سيارة هذا العام ، بزيادة ٦ آلاف سيارة عن العام الماضى» .

والمشاهد لشوارع القاهرة فى أى وقت من ليل أو نهار يهوله المنظر المخيف لتكدس السيارات المتتابعة فى تثاقل فوق أديمها ، ويفزعه وقوفها عند الإشارة كأكثف المظاهرات الآدمية التى شهدتها عصورنا الثورية ، ويضيق ولاشك ببطء زحفها وخنقها للحركة ، مما يدعو المسئولين عن المرور لتقليب وجوه الفكر لاقتراح مايفرج الأزمة بمختلف الحلول .

كيف نبشر بعد ذلك بالمزيد من الإنتاج ؟ أليست الخطة منبثقة من واقعنا ، هادفة لتطويره نحو الأفضل ؟ لماذا لا تحول مصانع السيارات الخاصة إلى سيارات عامة للركاب والنقل ؟ لماذا لا نوقف تصنيع السيارات الخاصة أو استيرادها إلى أجل غير مسمى ؟ .

الحق أنى لم أدرك الحكمة وراء ذلك ، وقد يكون للأمر حكمته التى تخفى على غير المختصين ، أو يكون ضرورة اقتصادية لا حيلة فيها ، ولكن من الخير أن نعرفها وأن نقتنع بها لتطمئن قلوبنا ، خاصة وأن القاهرة فى حاجة ملحة إلى من يخفف من أوجاعها ويفرج من كربها .

١٩٨٣/٧/٢٨ .

الحرب اللامعقولة

أيًا كانت نتيجة الحرب العراقية ـ الإيرانية فلن يهون شيء من عواقبها الوخيمة، ستظل بالنسبة للعراق هلاكاً للأنفس والمال، واغتيالاً ضارياً للتنمية الحضارية، بالإضافة لكونها تخلخلاً مزلزلاً فى البناء العربى العام الذى تنهال عليه الضربات من جميع الجهات، وتبحث عن سبب لذلك كله فلن تظفر بمنطق يسوغ المغامرة أو يعتذر عن الضلالة، فما هو إلا أن تخطر برأس الحاكم بأمره فكرة حتى يجيش بها صدره، وتملك عليه زمامه كأنما هى وحى من السماء، وينطلق فى تنفيذها تياهاً وقد امتلأت شراع زعامته بالهواء، وانتشر ظلها فوق الأرض، ثم تنقض العاقبة كالوحش، فتهلك الرجال، وتبدد الثروات، فتتلاشى الزعامة جارفة معها الكرامة والأمل. إنه داء وبيل ذو رأسين: رأس يسمى الزعامة النهمة، والآخر يسمى الاستبداد الأعمى، ولو كان زلة فردية يخطىء فيها إنسان ثم يدفع ثمن خطئه

لمان الأمر، ولكنه يخطئ ويمضى إلى سبيله تاركاً لشعبه ميراثاً ثقيلاً من الهزيمة والخراب يكابده جيلاً بعد جيل. وقد تبدو الشعوب ضحية بريئة، ولكن على المتأمل أن يمعن البصر أكثر لعله يرى معى أن مسئولية الشعب لاتقل عن مسئولية الجلاد، فإنه يشارك فى صنع حكامه ويذعن لأهوائهم ويتقى غضبهم، ولعله يرى معى أيضاً أن الصبر فى غير موضعه، واللامبالاة وإيثار السلامة بأى ثمن-قد تورث الندم الطويل فى ليل الحسرة الطويل.

.١٩٨٣/٨/٥

مقياس الحضارة

أين نجد هذا المقياس لنطمئن إلى حكمة الحكيم ؟ . هل نجده فى متوسط دخل الفرد ؟ فى التقدم الصناعى والاكتفاء الذاتى الزراعى ؟ فى النشاط العلمى والثقافى ؟ فى نظام الحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم ؟ كل عنصر من هذه العناصر شديد الأهمية ويصلح حكماً بمفرده ، ويصبح حكماً أشمل وأعمق بانضمامه للعناصر الأخرى ، ولكن المقياس الأصيل الأول فى نظرى ، المقياس الذى لا يخطىء نجده فى الفرد نفسه ، فى مواطن هذه الحضارة أو تلك ، فى شخصية ككل متكامل ، وما تتكون منه أبعادها من قيم ورؤى ومواقف وأفعال وردود أفعال ، من خلال نظرته لنفسه وللناس وللحياة ، وتعامله مع نفسه والناس والحياة .

هذه الثمرة الأخيرة هى الخلاصة لكافة القوى التربوية والعلمية

والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والعقائدية، إنه الإنسان كما استطاع أن يكون، وبالقدر الذى أهلته له حضارته بشتى مناحيها.

وفى نظرى أيضاً أن تحضره يتجلى كأشد ما يكون التجلى فى تعامله مع الأقليات التى تشاركه الحضارة والوطن، الأقليات التى لا تساويه فى القوة بحكم عددها والتى تخالفه فى العقيدة الدينية أو السياسية أو العنصرية. فانظر إلى هذه الأقليات حيثما توجد، وانظر إلى ما تحظى به من احترام لحقوقها الإنسانية وما تنعم به من أمن وأمان واطمئنان إلى المستقبل، انظر إلى ذلك وقومه تجد خير مقياس تقيس به حضارة المجتمع وتقدمه الروحى وسموه الأخلاقى ومستواه الإنسانى. فإن لم يتوافر ذلك كاملاً غير منقوص فصدقنى أنه لا قيمة لعلم أو صناعة أو زراعة أو ثراء الخ.

لا قيمة لشعب ينجح فى جميع مواد الحضارة إذا سقط فى هذه المادة الأساسية التى كأنما ما وجدت إلا لتكشف عن المعدن الحقيقى لإنسانية الإنسان.

١٩٨٣/٨/٢٥.

البحث عن المال الضائع

تمخض العام المالى الماضى عن عجز فى تحصيل الضرائب بلغ ما يزيد على ٧٥٠ مليون جنيه ، وما زالت كثرة من المولين يتهربون من أداء التزاماتهم الضريبية كما تقرر الجهات الرقابية . وكان الواجب أن نصنع المستحيل حتى نحصل للدولة حقوقها من الضرائب كاملة غير منقوصة ، وكان الواجب أن يتم ذلك قبل التفكير فى ضغط المصروفات وزيادة الضرائب ، علماً بأننا من أنصار ضغط المصروفات بلا حدود ، وزيادة الضرائب بما يحقق العدالة الاجتماعية ، ولكننا نرى فى الوقت نفسه أن أى إجراء للضغط والزيادة قبل تحصيل ما ينبغى تحصيله كاملاً أسلوب جائر فى معالجة الأمور وتدبيرها ، لا يخلو من ظلم فادح طالما أن كثيرين يفلتون من واجب الضريبة ويتميزون عن مواطنيهم بغير وجه حق ، ويكدسون الأموال ، ويهدرون القيم ، ويلوذون بالنجاة . فعلى الحكومة أن تخص جهاز الضرائب بعناية مركزة ، فتوفر

له الأيدى العاملة بالتمام والكمال، وتجدد أساليبه منتفعة بتجارب الدول فى ذلك، وهو جهاز كلما زدته عناية وتقوية زادك مالاً وقوة. والأمر لا يحتمل سياسة الأناة أو التأجيل أو ما يعرف بالخطوة خطوة، ولعله الموقع الوحيد الذى لا يضيع فيه الإنفاق هباء بل يعود بأضعاف مضاعفة. وكم سمعنا عن تجديدات تجرى فيه، ومواعيد تحدد اليوم والشهر لتصفية متأخراته، ثم تمر الأيام وتتبخر الوعود وتتلاشى الأحلام، ثم نعرف عند الامتحان ـ مع الأسف الشديد ـ عجز متحصلاته فى هذه الأزمة الطاحنة.

١٩٨٣/٩/٨.

الفكر والحرية

كلما ذكرت حرية الفكر فى مناسبة من مناسبات القول هبت الأصوات من حولك مذكرة بالضوابط والمحاذير، وكأننا من طول ما كابدنا من قهر قاتل لأى مغامرة فكرية قد ألفنا الكبت وارتحنا إليه، وبتنا نخاف الحرية أو نخاف الفكر ونتقيهما معاً. ولعلى أدرك مغزى قانون يسن لمنع القتل أو السرقة أو الاعتداء، أو خرق المرور، ولكننى لا أدرك مغزى قانون يسن لمنع الفكر من ممارسة وظيفته الطبيعية، وهى البحث عن الحقيقة ما وجد إليها سبيلا ؛ إذ لا دخل لقانون وضعى فى مجال يخضع بطبعه لقوانين من نوع آخر هى قوانين الفكر نفسه التى بضوئها يتبين الصواب من الخطأ. أليس حسبنا الرأى العام وما يملك من قوة الاستهجان والردع، وقد ينقلب فى عصور الانحطاط إلى وحش مفترس يتجاوز أثره القانون الوضعى مهما يكن تزمته وتخلفه ؟. وقد يقال دفاعاً عن ذلك كله إن من الأفكار ما يضر

مثلما يضر القتل وأكثر، والحق أن الفكرة الصحيحة لا يتصور أن تضر، أجل قد تدهمنا قبل أن نتهيأ لتلقيها، وقد تبدو مزعجة أو مؤلمة أو قاسية، ولكن علينا دائماً أن نروض أنفسنا على مواجهة الحقائق والتكيف معها، والاقتناع بها مهما كلفنا ذلك من جهد وتضحية، كي تطّرد الحياة فى طريقها المستقيم الذى لا يقوم إلا على الحقيقة. وقد يقال دفاعاً عن ذلك أيضاً إن الفكر عرضة للخطأ، وهذا حق، ولكن هل يصححه قانون العقوبات وإرهاب الجماهير أو قانون الفكر نفسه ؟!. وبقدر ما يدعو الفكر الصحيح إلى حياة جديدة بقدر ما يدعو إلى المناقشة والحوار والثراء العلمى، ولن يصح فى النهاية إلا الصحيح. ولكننا لن نقدر حرية الفكر ونعمل على حمايتها بالحماس الواجب إلا حينما ينبض وجداننا حمًّا وفعلاً بتقديس العقل هبة الله العظيم.

١٩٨٣/٩/٢٩.

٦ أكتوبـــر

وتمر الأيام، وتتعاقب الشهور، فتكثر الأقاويل، وتتضارب التحاليل، ويلقى الغبار على النوايا والأهداف، ولكن الحقائق الناصعة تصمد للعواصف العاتية، ويظل يوم ٦ أكتوبر رمزاً خالداً للبعث والنصر، وصوتاً وطنيًّا خالصاً للسلام، وأخيراً عبرة للمعتبرين، وتذكرة للراشدين، وقد تبلورت فيه على مستوى التاريخ إيجابيات عهد وسلبياته، وتشاء الأقدار أن تجعل منه بعد ذلك ممتحناً للسلبيات ومنطلقاً جديداً للإيجابيات، فما إن توارى فى غيابات الدهر حتى رحنا نعيد النظر فى كل شىء، ونفحص من جديد التركة بكافة أبعادها، وندرس المقبل من خطواتنا، ثم نمضى بعزم إلى تجديد روح الديمقراطية وتثبيت خطاها، وتعديل مسار الانفتاح وترشيده، وتطهير الميدان من آفاته وانحرافاته. ثم وثبت بنا الهمة إلى وضع خطة التنمية على أسس علمية شاملة، والإقبال على تنفيذها بقوة وإخلاص

فتمخض عامها الأول عن نجاح مرموق يبشر بنجاح أكمل، وتركز تفكيرنا فى همومنا ومتاعبنا. وامتد فى حكمة وحذر لينتشل المنطقة مما تتردى فيه من تمزق وهزيمة. ولا أنكر عمق المعاناة، ولا مدى ما ينقصنا من بذل وتضحية، ولكن حرارة العمل الصادق تهون من الألم، وتعين على الصبر، وتنعش النفس بالأمل. فلنتذكر فى هذا اليوم بطله وشهيده الزعيم الراحل أنور السادات، ولنعتبر ببطولته واستشهاده معاً، وليكن تكريمنا لذكراه مواصلة عنيدة للقضاء على السلبيات ومضاعفة الجهد فى الوصول بإيجابياته إلى غاياتها البعيدة من السلام والتقدم.

٦/١٠/١٩٨٣.

آداب الكوارث وتقاليدها

نعم للكوارث آداب وتقاليد مرعية، أو هذا ما ينبغى أن يكون فى المجتمعات البشرية الراقية والتى تتطلع للرقى. ونحن نتبع بعض هذه الآداب والتقاليد ونغفل الباقى، ولعله أهم وأوجب، فحينما تقع كارثة، ويثبت لنا أنها ناجمة عن إهمال، نحيل المهملين المباشرين إلى المحاكمة لنيل الجزاء الرادع، وأحياناً نعيد النظر فى القوانين التى تحكم الموقع كله. وهذا حسن، ولكنه أقل ما يجب. فثمّة مسئولون بحكم مناصبهم يغيبون عن الصورة ويلوذون ببعدهم عن مكان الحادثة، وكانت الآداب والتقاليد الرفيعة توجب عليهم أن يضعوا استقالاتهم تحت تصرف الرئيس الأعلى ليرى فيهم رأيه بالعزل أو الاستمرار، ولا ظلم فى ذلك ولا شبهة ظلم، فالعامل المهمل وراءه مفتش مهمل، والمفتش المهمل وراءه كبير مفتشين مهمل، وكبير المفتشين المهمل وراءه رئيس قطاع مهمل، وهذا وراءه وكيل وزارة مقصر، وهذا

وراءه وزير، وإنى لأومن بأن العمل وحدة لا تتجزأ تضم بين جناحيها جميع درجات العمل المتصاعدة. ولو شعر الوزير بأنه يتحمل مسئولية جميع معاونيه حتى العامل البسيط لفكر فى واجبه تفكيراً جديداً وتابعه متابعة دقيقة ساهرة، وشملت ميدان العمل كله حرارة لا تبرد وفورة لا تهدأ، ولخف البلاء عن العباد الذين تكاثرت عليهم المصائب والخسائر فهددت أمنهم وسلامتهم وصحتهم، وأفقدتهم الثقة فى أنفسهم وفى وطنهم، ولعادت إلى المواطن قيمته الإنسانية وكرامته البشرية أجل فكما أن للكوارث ضحايا من الشعب فلها أيضاً آداب وتقاليد.

١٩٨٣/١٠/٢٧.

لكل أمة همومها الروحية والمادية ، ولكن مما يدعو للتأمل والأسى أن تتسع هوة الخلاف فى العصر الواحد بين بعض الأمم والبعض ، بحيث ينشغل فريق بكيفية إنشاء قرية دائمة فى الفضاء ، على حين يحشد فريق آخر قواه لتحقيق مطالب أولية للحياة والحضارة ، مثل توفير الغذاء ، ومحو الأمية ، وإصلاح الهياكل الأساسية .

وقد يكون لكل جانب ظروفه وملابساته التى تفسر تقدمه أو توقفه ، ولكن كيف يجد المتأخرون مذاقاً للراحة ووقتاً للنوم وهم يعون هذا الفارق المخيف الذى يهدد وجودهم ذاته وصلاحيتهم للبقاء ومعنى إنسانيتهم ؟ ثم كيف يكون الحال عندما لا يكفيهم تأخرهم المتردى فيضاعفوا من عثراتهم بأيديهم ، يتناحرون حول ثأر مضى عليه آلاف السنين ، أو يتخاصمون فى أطماع فردية ضعف الطالب فيها والمطلوب ، أو يستبقون فى تجاهل الواقع والفرار أمام الحقيقة ، ثم

تمضى الأيام وتبعثر الأحوال بلا خطة حقيقية لمواجهة التخلف الذى ينذرهم بالفناء.

وقد أعطينا من الإمكانيات مالا يستهان به، ولا يتهيأ لقوم إلا فى النادر من الظروف، أعطينا العدل الغزير، والمال الكثير، والتجانس الفريد فى اللغة والثقافة، والمشاركة فى التاريخ والهدف، ووراءنا تركة من التجارب التاريخية المشرفة فماذا ينقصنا لكى نبدأ؟ بل ماذا ننتظر حتى ننهى خلافاتنا الجانبية ونتنادى كما يتنادى الطير عند جثوم الخطر؟ أهو فقدان للوعى أم فقدان للإرادة أم رغبة خفية فى الموت؟.. ترى متى تحدث المعجزة؟.. وأى رجل أو أى شعب سيكتب له فخر إحداث المعجزة فى مستقبل الأيام؟.

١٩٨٣/١١/١٧.

الأمـــل الباقـــى

ترى ما رأى الشعوب العربية فيما يجرى فوق الساحة العربية من مهازل مفجعة دامية؟ لعله السؤال الذى لن تظفر له بجواب حاسم على الإطلاق .

من جميع الأركان ترتفع أصوات قادة وزعماء ، وتهدر تصريحات ومأثورات ، وتتخذ قرارات فى السر والعلانية ، وتتدفق أنهار من الدماء والفوضى ، وترهف السمع كيف شئت فلا تسمع لصاحب الحق الأول فيما يكون ما ينبغى أن يكون صوتاً ،كأنما هو فريضة غائبة وضحية أبدية لهواة الحكم والاستبداد. ولذلك تتعدد التأويلات:فن قائل بأنها سياسة هذا الحاكم أو ذاك ، ومن قائل بأنها مؤامرة أمريكية أو سوفيتية أو دولية ، ولكنك لن تسمع أبداً بأنها خطة عربية طالما أن العرب لم يتهيأ لهم الوجود بعد ، ولم تتح لهم فرصة القول بل الفعل . فحتى متى ننتظر وقطار الحياة ينطلق بأقصى سرعة غير حافل

بالمترددين والمنتظرين ؟ . لا أمل لنا اليوم إلا فى الدول العربية الغنية ، لقد أدت واجبات ستذكر لها فى دعم الدفاع وفى استثمارات متفرقة فى بلاد عربية وإفريقية ، ولكن عليها أن تتذكر أن الأقدار قد وضعت بيدها القدرة على انتشال البلاد العربية من وهدة التخلف ودفعها لمواجهة العصر الحديث . أجل إن واجبها الدائم هو وضع خطة شاملة للتكامل الاقتصادى والمضى فى تنفيذها دون توان أو انتظار . ولن يكلفها ذلك نصف ما تكلفته فى شراء السلاح الذى ينتحر به العرب اليوم ، كما أنه لن يضيع بلا ثمرة ، ولكنه سيعود عليها بالفوائد والحضارة والأمان . عليها أن تمضى فى هذا الطريق ضاربة صفحاً عن الخلافات السياسية ، بل عليها أن تبدأ-إذا شاءت-بالبلاد المتوافقة معها ، ومن يدرى فقد يكون لإعلان الخطة والأخذ فى تنفيذها من الأثر مالا يقدره الحاسبون فى تصفية الخلافات وإحلال أفكار التقدم والإصلاح مكان أفكار الجنون والانتحار . هذا هو الأمل الباقى لنا فى هذه الظلمات الملطخة بدماء الأبرياء .

١٩٨٣/١٢/١٥ .

بين القضية والهدف

قيل فى الموقف العربى الراهن كل ما يمكن أن يقال ، وكل يوم يمر يحسب علينا لالنا ، فعلينا أن نتذكر أشياء قبل أن نفقد الذاكرة بعد أن كدنا أن نفقد الإدراك والبصيرة ، علينا أن نتذكر أننا أصحاب هدف لا أصحاب قضية فحسب ، وإذا اقتضى الواجب ألا نهمل القضية من أجل الهدف ، فالحكمة تطالبنا بألا ننسى الهدف فى حومة البحث عن حل للقضية . أما القضية فجميعنا يعرفونها ، وفى سبيلها خاضت مصر حروباً متلاحقة ، ومن أجلها جنحت إلى السلام كخطوة أولى لإرساء قواعد عدل شامل فى المنطقة وأما الهدف فهو الحضارة أو التقدم أو التكامل الشامل ، أو إن شئت : أن نكون بعد أن أوشكنا على ألاّ نكون . والطبيعى أن يكون الرأى الأول فى القضية للفلسطينيين ، فعلى زعيمهم أن يتحرى رغبات شعبه فى كافة مواقعه عن مطالبهم المشروعة ، والوسيلة التى يقترحونها لتحقيقها . وعلى

جميع البلاد العربية التى تتفق معهم فى الرؤية أن تؤيده وتسعى من فورها إلى العمل غير ملقية بالاً إلى المعارضين ، أو مؤجلة سعيها انتظاراً لتوحيد كلمة لا تريد أن تتوحد وطبيعى أيضاً ألا يـوجد خلاف حول الهدف ، فحتى المختلفون فى القضية يجب أن يكونوا متفقين عليه ، وهو أيضاً غير قابل لمزيد من التأجيل ، فعلينا أن نسرع فوراً فى تنفيذه على أساس علمى ومن خلال خطة محكمة . وحتى إذا نكص قوم عنه تعصباً لموقفهم من القضية فعلى الآخرين أن يمضوا فى سبيلهم بلا تردد ، وسوف يلحق بهم الناكصون عاجلاً أو آجلاً . ولعل دور مصر فى هذه الآونة هو التوثب لإنجاز القضية والهدف على النحو المذكور، أو على مثال أفضل ، ولعله أخطر من الدور الذى قامت به يوم تصدت للمغول فصدت موجة من الفناء كادت تلتهم عالمنا كله . والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

٢٦/١/١٩٨٤ .

أمة صغيرة بين عمالقة

على الأمة الصغيرة فى عالم العمالقة أن تفكر بمنطق الأمة الصغيرة، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه. ونحن أمة صغيرة. قد نقارب العملقة إذا تحقق يوماً حلمنا العربى، ولكننا اليوم أمة صغيرة، وعلينا أن نفكر بمنطق الواقع لا الحلم، ولست أدعو بذلك للتسليم والهوان ثمناً للوجود والخبز، فالأمة الصغيرة تستطيع بالحكمة والعلم أن تضمن لنفسها حياة كريمة عزيزة منيرة، وما عليها من بادىء الأمر إلا أن تحقق أمرين جوهريين أولاً: بالنسبة لداخلها أن تقيم حياتها على دعائم الحرية والعدالة الاجتماعية والعلم والعمل، فبغير الحرية لا توجد كرامة، وبغير العدالة لا يوجد انتماء، وبغير العلم لا يوجد تعامل مع العالم، وبغير العمل لا يتحقق وجود.

ثانياً: بالنسبة للخارج، علينا أن نعرف أهدافنا ما هو ضرورى منها وما هو كمالى، وعلينا فى الوقت نفسه أن نعرف أهداف

الآخرين، وبخاصة العمالقة ما هو ضروري منها، وما هو كمالي، وعلينا بعد ذلك أن نعيد النظر في أهدافنا على ضوء علمنا بأهداف العمالقة لنقرر لأنفسنا سياسة تحقق أكبر قدر من الآمال مع أقل قدر من التضحية في سبيل المحافظة على الوجود والكرامة والأمان. وما من اختيار إلا وله إيجابياته وسلبياته، مكاسبه وخسائره، المهم أن يكون الحساب الختامي في صالحنا. وقديماً صفق لنا العالم ونحن نصارع للتحرير، فما نفعنا التصفيق ولا هون من هول العاقبة. ومازلنا حتى الساعة نكافح ونكافح ونكافح حتى نمهد لأقدامنا طريقاً صالحاً للسير، وشربة ماء غير ملوثة، ولقمة حلالاً بغير اقتراض من الخارج. ولعلنا لو كنا التزمنا بمنطق الأمة الصغيرة منذ مطلع يقظتنا لما وئدت نهضة محمد علي في عز شبابها، أو انتكست نهضة عبد الناصر في عنفوانها، ولربما كنا اليوم أمة عملاقة في قيمتها برغم تواضع حجمها بين الأمم.

١٩٨٤/٦/٢٨.

عــودة العلاقــات

تقررت عودة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى على مستوى تبادل السفراء، وهو قرار يعد من الإنجازات فى سياستنا الخارجية، مثله كمثل انجازاتنا الموفقة والمبشرة بالتوفيق فى المجالات العربية والإفريقية والإسلامية. فليس من الحكمة أن تسوء العلاقات بيننا وبين دولة كالاتحاد السوفيتى تعتبر بجميع المقاييس إحدى أكبر قوتين فى العالم المعاصر، ولا يجوز أن ننزلق إلى ذلك إلا تحت ضغط تقتضيه مصالحنا القومية، ولا تجدى معه السياسة ولا الرغبة الصادقة فى السلام والتعاون وتبادل المنافع، مع المحافظة الكاملة على حرية إرادتنا ومبادئنا، ولا ننسى فى هذا المقام موقف الاتحاد السوفيتى من القضايا العربية ومساندته لها فى المحافل العالمية، ولا يجوز أن ننسى تعاونه معنا فى بناء نهضتنا فى الزراعة والصناعة والدفاع، ولا أننا حققنا انتصارنا الرائع فى ٦ أكتوبر بسلاحه الذى استجاب لإيمان جيشنا وشجاعته.

ومن البدهى أن عودة العلاقات لا تعنى تغييراً فى السياسية ، فسياستنا الخارجية لها مقوماتها الذاتية المعتمدة أساساً على مصلحتنا القومية ، وستظل هذه المصلحة هى التى تحدد الأهداف ، وتختار الوسائل ، وترسم لنا حدود الطريق الذى نسير فيه ، سواء أكان انحيازاً أم عدم انحياز. ولكن عودة العلاقات إلى حالتها الطبيعية مدخل للتنمية البشرية فى الاقتصاد والثقافة ، فضلاً عن أنها قد تتيح لنا مزيداً من الفرص لحل القضية الفلسطينية ، أو الدفاع عن شعب أفغانستان المعذب ، نحن نرحب بعودة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ونهنىء الدولة على توفيقها .

١٩٨٤/٧/٢٦ .

٢٣ أغسطس

اليوم ذكرى وفاة سعد زغلول ومصطفى النحاس ، ولا أجاوز الحق إذا قلت إنهما أعظم زعيمين شعبيين ، يقترن اسماهما بأعظم ثورة شعبية فى تاريخنا ، ثورة ١٩١٩ ، ثورةالشعب من فلاحين وعمال ومثقفين ونساء ، الذين نفضوا عن جوهرهم الأصيل الخالد غبار الزمن ونفايات الاستعباد ، وقدموا من أنفسهم فى بطولة رائعة آلاف الضحايا للرصاص والمشانق والسجون والمنفى ، واستمدوا من صحوتهم العاتية وحدة وطنية راسخة قامت شامخة على الفداء المشترك ، وقوة ذاتية بثت روح الخلق والإبداع فى شتى ميادين الحضارة ، فوضعت حجر الأساس فى الاقتصاد المصرى ، وحررت المرأة من عبودية الجهل ، ففتحت لها أبواب العلم والعمل والكرامة ، وتصدت للطغاة الوطنيين كما تصدت للمستعمرين فى دفاع عنيد متواصل عن الدستور وسلطان الشعب ، كافحت أعداءها الجبابرة سبعة عشر عاماً ما بين ١٩١٩

و١٩٣٦ فتوجت كفاحها بمعاهدة ضرورة وشرف مع الإنجليز إذا قيست بمقياس الواقع الذى يمثل صراعاً بين شعب أعزل من ناحية وأكبر إمبراطورية فى التاريخ من ناحية أخرى، فيجب أن تعد نهاية مشرفة حتى ولو لم تحقق أهدافها بالكامل، وحسبها أنها أعادت خلق مصر.

أما ما جرى بعد ذلك من أحداث فينشر صفحة جديدة جاءت نتيجة للحرب العالمية وتطور المجتمع، وظهور قوى جديدة اقتضت ثورة جديدة لاحتواء تناقضاتها، ولا غرابة فيما أدرك المجتمع فى تلك الفترة الحرجة من تخلخل واضطراب، ولكن الغرابة فى أن يركز قوم عليه متناسين ما سبقه.

وسوف تمر الأيام وتتتابع الأجيال وتظل عظمة الزعيمين الجليلين وثورتهما منارة يسترشد بها فى ظلمات الوجود كل وطنى عاشق لمصر، كما تظل جمرة تلسع الحاسدين من أعداء الشعب وحريته تحية لذكرى الزعيمين وثورتهما الخالدة.

١٩٨٤/٨/٢٣.

الهـــدف الأول

لنذكر دائماً أن خطة التنمية الشاملة هى أهم أمانة نحملها فى هذه الفترة من تاريخنا ، هى مخرجنا من أزمة معقدة متشعبة ، ومدخلنا إلى الانطلاق والحضارة ، وهى صندوق حاو لهمومنا جميعاً : اقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية ، ينتظم مفردات مختلفة ومتكاملة فى آن : زراعية ، وصناعية ، وتعليمية ، وصحية ، وترفيهية .

فعلينا ألاّ نتوانى فى توفير الكمال لها فى الدراسة ، وإعادة الدراسة كلما لزم الأمر ، والتنفيذ ومايقتضيه من مراقبة ومتابعة . ولدى الحساب الختامى لكل عام من أعوامها يجب إعلان ماتم منها فى دقة وأمانة ، وتجنب المبالغات واستجداء الاستحسان الأجوف ، والاعتراف بالأخطاء إن وجدت ، مستهدفين المزيد من المثابرة والإتقان .

ولا يجوز أن نتسامح مع الإهمال ، أو التراخى والتسيب أو النزاهة

والأمانة ، ناصبين من أنفسنا نقاداً لأنفسنا قبل أن ينقدنا الآخرون ، وأن نتقبل النقد باعتباره مشاركة إيجابية فى الإنجاز والعمل ، ومهما بذلنا من جهد فهو قليل بالقياس إلى النتيجة المستهدفة ، وهى إثبات وجود حضارى فى عالم منطلق إلى الأمام بسرعة الضوء .

ولا يفوتنا أن نقرر ما هو مطلوب منا كى نتحرر من الإعانات والقروض ، مدخلين فى حسابنا تكاملنا مع السودان ، وواجبات الشباب فى شتى مراحله التعليمية والعملية ، والتضحيات الواجبة على كل مواطن على قدر طاقته . لا عيب فى أن نعتبر أنفسنا فى مأزق ، وما أجدر الذين يعانون المآزق بالتضامن والتعاون والإخلاص فى العمل ، والارتفاع بأفكارهم وعواطفهم إلى مستوى التحديات العنيدة .

والتحديات قوى تعرض فتتجدد فى رحابها الحضارات أو تبيد ، وعلينا أن نختار الوجود ولا بديل عن ذلك .

١٩٨٤/٨/٣٠ .

وزير الداخلية يبدأ المعركة

ما يجرى فى شوارع القاهرة ظاهرة جديرة بالتأمل ، مفرجة للكرب ، باعثة اللأمل المشرق ، إنها تقول بلسان صريح : إن إرادة الإنسان الخيرة أقوى من جميع التحديات. واسألونى أنا الخبير بالمشى فى القاهرة كل يوم من أطرافها إلى الوسط ، ثم من الوسط إلى الأطراف ، عما كنت ألقى من عناء وهم وغم وفوضى مستحكمة بين آدميين معذبين ، وسيارات متراكمة متخبطة .

ولست أنظر إلى الشارع باعتباره الغاية النهائية لوزير الداخلية ، ولكن باعتباره الخطوة التى ستتلوها خطوات وخطوات فى جميع الفروع التابعة للداخلية ، بل ما هى إلاَّ مثال لما سيحدث ، وما يجب أن يحدث فى الإنتاج ، والاستهلاك ، والتعليم والثقافة ، والكهرباء ، والمياه ، والتليفونات ، والمساكن ، والحوار بين الحكومة والمعارضة ، والتعامل بين

الدولة والعرب، وسياستنا مع إسرائيل وإفريقيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

فلنجعل مما يحدث في الشارع اليوم شعاراً للتطبيق لا للترديد والغناء، ولنجعل منه رمز حياة جديدة للتحدي والنصر، ولنذكر جميعاً أنَّ تقدمنا إذا اقتضى في جانب منه الصبر والاعتماد على القروض والإعانات، فإن جانباً آخر لا يُستهان به تحل مشاكله بالإرادة الخيرة والتصميم النبيل، والعزيمة التي لا تلين.

ولنذكر جميعاً أننا إذا نجحنا في ذلك ــ ولا محيد عن النجاح ــ فلن نتساءل غداً في حيرة: لماذا يتفوق أبناؤنا في الخارج ويضيعون في الداخل؟ أو لماذا وهَى الانتماء بينهم وبين وطنهم المقدس..؟

.١٩٨٤/٩/٦

فى صميمنا قــوة

فى صميم طبيعتنا ما يؤهلنا لمواجهة العصر بجميع تحدياته ، لا أقول ذلك عن عاطفة وطنية يجيش بها الصدر، ولا عن أمان يتعلق بها الخيال والحلم ، ولا متغافلاً عما يمزقنا من سوء ظن ، أو تراخ فى التضامن ، أولا مبالاة فى الرأى والفعل ، فأنا أعترف بأننا مررنا ــ ومازلنا ــ بمحنة اقتصادية أخلاقية وحروب متعاقبة أفرزت عواقبها الوخيمة ، وهى عواقب لها أسبابها ، وتزول بزوالها ، فلا معنى لاتهام طبيعتنا الفطرية وأصالتنا الذاتية . وعندى من الشواهد ما ينقض الواقع بنواقصه ويدعو إلى الإيمان بنقيضه . ولن أذهب بعيداً إلى أعماق التاريخ لعرض المواقف والأمثال ، حسبى أن أذكِّر بما يحققه أبناؤنا المهاجرون من نجاح وتفوق فى مختلف الأنشطة العلمية وتطبيقاتها ، وبما حققناه من نصر فى حرب ٦ أكتوبر فى مدة قصيرة ، وبوسائل محدودة نسبياً، بل إنى ألمس الصلابة وروح الجماعة فى ظاهرات اجتماعية

يومية ، مثل ولاء أغلبيتنا للأسرة ، والتضحية فى سبيلها ، وإخلاص الفرد للعشيرة بما يدعوه إلى تجاوز الذات دون مبالاة بالعواقب . هناك تقليد من تقاليد بعض نواحينا ، وهو الأخذ بالثأر، وهو لاشك تقليد مرذول تجاوزه الزمان ، وينتهى أحياناً بالقضاء الكامل على قرى ، فلا يبقى منها إلا النساء والأطفال ، إنه تقليد قبيح مرذول ، ولكنه شاهد على الصلابة ، وعلى استعداد الكثيرين للتضحية بالذات ما داموا يؤمنون بفكرة ولو خاطئة ، إذن فنحن لا نتردد عن التضحية إذا آمنا بقدسية ما نفعل . ونحن شعب لا تنقصه فى صميمه الصلابة والقوة ، ولا تعز عليه التضحية فى سبيل المجموع والقيم . لعلنا فى حاجة إلى المعاملة الإنسانية العادلة ، وحسن التوجيه والتربية كى تستثمر قوانا فى قنوات جديدة نحو أهداف جديدة . نحن أنغام مبعثرة تتناثر فى ضجيج حتى يجمعها مايسترو ماهر فى سيمفونية تنضح بالروعة والقوة والجمال .

١٩٨٤/٩/٢٠.

٦ أكتوبـــر

سنذكر يوم ٦ أكتوبر على رأس الأيام المشرقة فى تاريخنا على مدى الزمن المترامى، أما فى نطاق تاريخنا المعاصر فهو يمثل النصر الذى يجىء فى أعقاب سلسلة من الهزائم العسكرية والسياسية من خلال نضال طويل مع الاستعمار الأوروبى والتحدى الإسرائيلى لذلك فاقت آثاره المعنوية غير المحدودة نتائجه المادية المحدودة، وكأنما كتب له أن يبعث الروح العربية بعد رقاد طويل، وأن يعيدها فتية متوثبة إلى مجرى التاريخ بعد أن كاد يجرفها مع زبده ونفاياته. وأن يقيم مصر خاصة فوق عرش الثقة والعزيمة، فليبق فى هذه الحدود دائماً وأبداً رمزاً لصلابة شعب، وبسالة جيش، وشجاعة رجل، مهما اختلفت فيه الآراء فلا يجوز أن تختلف فى فضله فى إنجاز ذلك اليوم المضىء العظيم. وقد كان يوماً حرياً بأن يكون المنطلق إلى تطور رائع ونهضة شاملة تتناول جميع مظاهر الحياة والحضارة، وتستهدف ذروة التقدم

والرخاء ، ولكن هبت عليه أعاصير وعواصف ، وانتابته أعراض شيخوخة مبكرة سيئة الحظ ، واستغلته أنفس مريضة بالانحراف والأنانية والجشع والاستهتار وقصر النظر، حتى دفعت به إلى غاية الشؤم في ٦ أكتوبر آخر وجرحته بالدم والفناء ، معلنة لكل ذى لب أن السيئات يلتهمن الحسنات وإن جلت ، وأن خطأ الأبطال هو بطل الأخطاء أيضاً ، فكانت النهاية المأساوية لبطل النصر والسلام . وها نحن نحتفل بالذكرى العظيمة ، ذكرى النصر والبطولة ، بعد أن ورثنا عن ماضى التجربة كلها تلالاً من السلبيات تنوء بها العزائم الفتية . وها نحن نواصل التحدى لتصفية الحساب مع الأخطاء وسوء الحظ ، مصممين على إحراز النصر بالعمل والعلم والإيمان ، كى نعبر التخلف غداً كما عبرنا الهزيمة أمس .

.١٩٨٤/١٠/٤

الدعم فى مجتمع الحرية والعدل

الدعم إجراء ضَرُورِة اتخذ لمعاونة فئات من الشعب على مواجهة غلاء لا قبل لمواردهم المحدودة به، ولا ذنب عليهم فيه. وكما أن حقهم فى الغذاء والكساء والمأوى والتعليم وسائر الخدمات الإنسانية حق إنسانى غير قابل للمناقشة، فأى دعم مقرر فى هذا المجال لا يجوز كذلك أن يكون موضع مناقشة خاصة وأننا نعيش فى كنف دولة هى وريثة ثورات مجيدة للحرية والعدالة الاجتماعية. أما البحث المنشود فيجب أن يتجه إلى النواحى الآتية:

١ ــ تحديد الفئات المستحقة للدعم، وكيفية إيصاله إليها، وخير السبل التى يمكن اقتراحها لذلك.

٢ ــ إلغاء الدعم المقرر لغير الاحتياجات الأساسية التى تمثل الضرورات الشعبية، وترك الأسعار لقوانين السوق والقدرات الشرائية فيما عدا ذلك.

٣ــ مراجعة قنوات الإنفاق مراجعة دقيقة كيلا يهدر مليم واحد لغير ضرورة.

٤ــ تحصيل حق الدولة من الضرائب، واعتبار الإهمال فى التحصيل أو التهرب جريمة كبرى لا تقل فى ظروفنا الراهنة عن الخيانة العظمى.

٥ــ بذل أقصى الجهد لمضاعفة الإنتاج وتحسين الإدارة، وصيانة المال العام مع تقوية أجهزة الرقابة العامة.

وأخيراً فعلينا أن ننظر إلى مشكلة الدعم باعتبارها المدخل إلى انضباط جاد فى ميزان العدالة الاجتماعية، ومحاولة صادقة لإرجاع مجتمع متسيب إلى نظام التضامن البشرى كما ينبغى له أن يكون.

١٩٨٤/١٠/٢٥.

١٣ نوفمبر

يوم من أيامنا الخالدة ، يقول عنه التاريخ: إنه اليوم الذى ذهب فيه ثلاثة من رجالنا هم سعد زغلول ، وعلى شعراوى ، وعبد العزيز فهمى ، إلى دار الحماية البريطانية للتحدث عن مصير مصر عقب إعلان الهدنة التى تمخضت عنها الحرب العظمى الأولى . ويقول عنه قلب الشعب إنه اليوم الذى استوى بين الأيام رمزاً للجهاد : جهاد الاستعمار، وجهاد الطغيان ، وجهاد حكم الفرد ، فسمى بيوم الجهاد ، وبحت الحناجر بالهتاف له عاماً بعد عام حتى حل محله جهاد جديد فى عام ١٩٥٢ . وما يجوز لنا أن ننساه كتاريخ ، فالتاريخ هو ذاكرة الشعب الحافظة لتراثه وذاتيته . وما يجوز لنا أن ننساه كمعنى وقيمة ، فحياة الأمم تستمد حيويتها من ينابيع المعانى والقيم ، وإن موقعه فى خط كفاحنا لعزيز مكين ، موصول بما سبقه من ثورات وتضحيات ، ومبشر بما جاء بعده من ثورات وتضحيات . ولا أعنى بالتذكير به أن

أقترح له عطلة رسمية على حساب العمل والإنتاج ، بل أعنى العكس من ذلك تماماً ، أن نستلهمه القوة والصلابة ومايؤيد العزائم فى مواجهة التحديات وتذليل المصاعب . وقد جرى قدره قديماً بأن جعل منه المشعل للثورة ، والمكرس للاستقلال والديموقراطية والوحدة الوطنية ، والملهم الأكبر لزعامة شعبية ، والمحرك لدفقات من الإبداع فى مجالات الاقتصاد ، والأدب ، والفن ، والتعليم ، وتكريم المرأة . وهو اليوم يجب أن ينفخ فينا من روحه لمواجهة مايتحدانا فى اقتصادنا وثقافتنا وهياكلنا الأساسية ، وكثافتنا البشرية ، ومايحدق بنا من أخطار فى الداخل والخارج ، ومانرومه فى النهاية من معايشة العصر والإسهام فى إنجازاته . من أجل ذلك كله يجب أن نذكر يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ .

١٥/١١/١٩٨٤ .

انتحار بالجملة

السهرة فى بيت فنان مصرى التى ختمت بمصرع امرأة مغربية ليست مجرد سهرة ، ولا مجرد بيت فنان ، ولا مجرد مصرع امرأة ، هى فى الحقيقة شاهد من شواهد عصر ينطق بأكثر من لسان ، ويخاطب أكثر من إنسان . هى شاهد من شواهد عصر الانفتاح الاستهلاكى . يرمز فيما يرمز إلى بذخه واستهتاره وانحلاله وأسلوبه المميز فى المعاملة والأخلاق . وهى تضفى على الفن حقائق مساعدة تضاف إلى حقيقته التقليدية ، فليس هو رسالة وإلهام وغناء ، ولكنه أيضاً اللباقة والكياسة والحذق ، وإعداد حجرة آخر الليل لمن برح به السهاد . وهى تهزأ من أزمة السكن المزعومة التى تتعقد وتدلهم إذا نقب عليها أهل الحلال ، وتنحل وتجود بغير حساب لمريدى الفجر والحرام . وهى تقرر بكل قوة وصراحة ولكل مكبوت محروم أن الدنيا بخير ومغانيها عامرة بما لَذَّ وطاب من محرم الشراب ، ومنكر الكيف بين يدى الحسان المستوردات

من أقصى بلاد العرب ، فى ظل الأمان ، وصفوة من متقاعدى الأمن والقانون ممن كرسوا العلم والنفس فى خدمة الفاسقين . فماذا يمكن أن يقال بعد ذلك لمن يكفرون المجتمع ، ومن هو المعصوم الذى يشهد هذا الخضم من الفساد ولا يكفر هو قبل أن يكفر الآخرين . ألا يا سهرة الأنس الأحمر فى بيت الفن الشهير ما أنت إلا مذبحة أعراض وقيم وأموال تدفقت أمواجها المتسخة وسط شعب شق عليه الغلاء، وقست الحياة ، وتجهم الوقت، وهو يجاهد فى سبيل النفس والولد والوطن والله .

١٠/١/١٩٨٥.

السد العالى .. ومؤتمر مطلوب

كلما اعتقدت بأننى انتهيت من التفكير حول السد العالى، وكلما استقرت فى انفسى الطمأنينة عليه فى حاضره ومستقبله، تجبرنى على معاودة التفكير من جديد رسائل جديدة مبعوثة من ذوى اختصاص أو اهتمام. فهذه رسالة من المهندس عبدالحميد راجح محمد عن مشروع إصلاحى عملى يقترحه ويمكن أن يزامن تنفيذه مشروع قناة جونجلى، وقد أرسله على حد قوله إلى جريدة كبرى فأهملته.

وهذه رسالة أخرى من السيد جمال الدين أحمد سليمان ببنك التسليف عن مشروع بإنشاء مراوح ضخمة قلابة تدار بالطاقة الشمسية فى درجة حرارة ٤٥ مئوية خلال فترة أشهر الصيف لعلاج مشكلة الطمى. وبادئ ذى بدء فإنى أحمد لأصحاب الأفكار اهتمامهم، ولا أعجب لذلك فالسد العالى يسيطر اليوم على نيل مصر، فهى تفيد من جميع إيجابياته كما قد تشقى عاجلاً أو آجلاً بسلبياته إذا أهملت أو

تراخت الهمم فى علاجها، ولعله من الأوفق أن يتفضل أصحاب الآراء بإرسالها إلى جهة الاختصاص اقتصاداً للوقت، وتحقيقاً للهدف، وتفادياً من بلبلة الخواطر، ولا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أقترح على الجهة المسئولة ــ هيئة السد أو وزارة الرى ــ أن تدعو إلى عقد مؤتمر من المهندسين لمناقشة موضوع السد مناقشة شاملة لا تترك كبيرة أو صغيرة مما يقال حوله، ولتعلن على الشعب ما يتفق عليه من نتائج وحلول بما يطمئن كل مصرى على نيله أو على مستقبل وطنه ويحسم فى الوقت نفسه الخلافات والهواجس التى تثور بين الحين والحين ولا نجنى منها إلا القلق والكآبة. نحن نعقد المؤتمرات لأغراض هامة كثيرة، وموضوع السد العالى يجب أن يوضع فى مقدمة هذه الأغراض.

١٩٨٥/١/١٧.

النيـــل والقانـــون

من بدهيات الدولة أن يسود فيها القانون ويحترم، وإلا كانت اسماً على غير مسمى. ولا استثناء لذلك ولا تهاون فيه، فالقانون هو وجهها وضميرها وإرادتها وكرامتها. وقد قامت ضجة حول طرح نهر النيل والاعتداءات التى اجترحت عليه، تارة بإذن ممن لا يملك الإذن، وأخرى بتهجم مستهتر كأنها أرض بلا صاحب، وكان للضجة أثرها، فهبت الإدارة لإزالة بعض الاعتداءات ثم مضت الحركة تهدأ والحماس يفتر، والاعتذارات تنشر، والتصريحات تعد وتطمئن. والمسألة بسيطة وخطيرة فى آن، بسيطة لوضوح الهدف والوسيلة، وخطيرة لتعلقها بالنيل وكرامة الدولة وحقوق الشعب، وتوجد وزارة هى صاحبة الاختصاص الأول، وهى وزارة الرى فيا نشر، فعليها أن تقرأ القانون الخاص بالنهر أو تعيد قراءته، وعليها بعد ذلك أن تطبقه تطبيقاً كاملاً شاملاً فيزول ما يجب أن يزول، ويبقى ما يجوز أن يبقى

إن كان ثمة ما يسمح بذلك ، وأى تأخير عن تنفيذ ذلك فيه ما فيه من ضرر على النهر، وأذى للقانون ، وانتقاص من حق الشعب ، ولا يجوز أن يمر بلا حساب ، فيجب أن يقدم للمحاكمة كل من أعطى إذناً أو عقداً بغير حق ، وكل من وقع الاعتداء فى دائرة اختصاصه دون اتخاذ الإجراءات المضادة الواجبة ، ولا يعفى المعتدون أنفسهم من الجزاء الرادع حتى بعد إزالة اعتداءاتهم ، ولا يصح أن يستثنى من ذلك فرد أو جماعة أو هيئة؛لما يتضمن ذلك من فوضى وفساد وظلم وزلزلة للثقة التى يجب أن تتبادل بين الشعب والحكومة .

١٩٨٥/١/٢٤ .

عيد الشرطة

واجب كل مواطن صالح أن يبتهج بعيد الشرطة ويعتبره عيداً من أعياده، فالشرطة هى ركيزة الأمن، والأمن هو عماد الاستقرار، والاستقرار هو مهد الحضارة. وقد نعيش ـ ولو يوماً واحداً ـ بغير خبز، ولكننا لا نطمئن للعيش ـ ولو يوماً واحداً ـ بغير شرطة. وتقوى الحاجة إليها وتشتد فى مجتمع مثل مجتمعنا، قضت ملابسات حياته بأن يعايش فترة انتقال عسيرة، فى أعقاب حروب متلاحقة وبيلة، وأنظمة حكم شمولية إرهابية غاشمة، وانفتاح أهوج أعمى البصيرة والبصر، فاختلت موازينه، واهتزت قِيَمُه، وفرقته الانتهازية والانحرافات، وهددته الأنانية واللامبالاة، وماجت بأركانه التيارات المتطرفة فوق المياه الراكدة، فاقتضى ذلك كله أن تقوم شرطته بدور العين الساهرة، واليدِ المتحفزة، والهمة المتوثبة، والإرادة الصلبة لتطهره من آفاته، وتصد عنه الفناء والضياع. وقد أطلق مرة شعار للشرطة يقول:

« الشرطة فى خدمة الشعب » ، وأود أن أستبدل به شعاراً جديداً يقرر حقيقة قديمة يقول : « الشرطة فى خدمة الحضارة » ، وهو ألصق بتاريخها وتاريخ الحضارة ، ولكى يكون الكلمة التى لا يجوز أن تغيب عن ضمير رجل الشرطة أبداً ، فهى تحدد له الغاية والوسيلة معاً ، تذكره بأن غايته هى الحضارة ، ووسيلته يجب أن تستلهم من الحضارة أيضاً ، فلا يميل عنها عند ضيق صدر ، أو انفجار غضب ، أو تحدى استفزاز ، كى يتوافق فعله مع غايته ، ويقترن دفاعه عن الإنسان باحترام حقوق الإنسان .

وبعد ، فإننى أتطلع إلى الأمن الحقيقى يوم ينبع من ذات المجتمع وضميره بغير حراسة ولا ردع ، يوم يحب المجتمع أبناءه ، ويتبادلون الحقوق والواجبات حُبًّا وكرامة ، يوم يسود الصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل ، وتقوم المحبة بين الناس مقام القانون ، كما قال زعيمنا خالد الذكر سعد زغلول . وإنه ليوم آت بإذن الله ، بفضل الإيمان والعلم والعمل ، ويومها لن ننسى للشرطة فضلها عندما حلت وحدها العبء كله فى الزمن العسير .

.١٩٨٥/١/٣١

الإعدام والمؤبد

بلادنا تعانى أزمة شاملة ، لا يمر يوم دون أن نقرأ أو نسمع عنها الكثير، وهى شاملة بحق ، لا تعفى من قبضتها مرفقاً من المرافق ، ولا ينجو فرد من معاناتها على نحو من الأنحاء. والدولة من ناحيتها تحشد جميع ما تملك من أسباب الخبرة لمواجهتها والتغلب عليها . وكل فرد مدعو للمشاركة فى المعركة ، كُلٌّ فى موقعه ، يستوى فى ذلك مَن يعمل فى الحكومة أو القطاع العام أو الخاص ، أو مَن يعملون فى البيوت والشوارع . إن يقظة الضمائر تضمن وحدها نصف النجاح المنشود. ولن يتهيأ لنا الكمال فى إيقاظ الضمائر وبناء الشخص المطلوب إلا بالتربية الطويلة ، واحترام حقوق الإنسان ، وإرساء الحياة الحرة الديموقراطية على أسس متينة وسليمة ، وهيهات أن يحدث ذلك بين يوم وليلة . وإلى جانب الاستمرار فى خلق الجو الصحى المناسب لنشوء الإنسان الكامل يجب أن نعامل الانحراف والإهمال والتسيب

بالحزم الواجب، وبخاصة الانحراف الذى يهدد المجتمع فى مجموعه.

أجل إن كل انحراف يجب تقويمه، ولكنْ ثمة فـارق بين أذى يصيب فرداً أو هيئة، وآخر يصيب المجهود الوطنى العام، وخاصة فى الظروف العسيرة التى نمر بها. أن يسرق شخص آخرَ جريمة، ولكن أن يتهرب أحد من الضرائب جريمة أكبر؛ لأنها تهدد أمة بالإفلاس. وأن يقتل زيد عَمْراً جريمة، ولكن أن يهرب المخدرات أو يوزعها جريمة أشنع؛ لأنها تهدد بالقضاء على جيل من الأمة. وقل مثل ذلك فى أى انحراف من شأنه أن يؤذى المجتمع. علينا أن نكون جادين (حقًّا، وأن نحصى الانحرافات التى من هذا النوع، وأن نجعل عقوبتها الإعدام للفاعل الأصلى، والمؤبد للشريك. الإعدام للمهرب والمتهرب والعابث بقوت الشعب، والمؤبد لمن يتعامل معهم. وليس فيما أُقترح قسوة،ولكن القسوة فى ترك أمة معذبة تحت رحمة طغمة من المنحرفين. بل لعل اقتراحى يصدر عن رحمة وحب.

١٩٨٥/٢/١٤.

صاحب القضية

كان ينبغى أن يكون لدينا تصور واضح عن حل القضية الفلسطينية ، وكان ينبغى أن يحظى بالموافقة الشاملة بين العرب ؛ لنطمئن إلى أننا خطونا الخطوة الأولى الحاسمة فى طريق الهدف المرجو. ولكن الواقع أنه يوجد أكثر من مشروع حل غير معلن ، وأنه مضى زمن طويل فلم يتحقق فعل أو رأى أو اتفاق يمهد السبيل إلى رفع المقت عن المعذبين فى الأرض . مضى زمن طويل دون مبالاة ، مضيفاً كل يوم خسائر جديدة ، ومكرساً أمراً واقعاً قد يشق تغييره . حتى شرعية المنظمة فى تمثيل الشعب الفلسطينى مست بتنكر دولة عربية أو أكثر لها . وأخيراً جاء النبأ بالاتفاق بين المنظمة والأردن ، فكان بارقة أمل فى سماء ملبدة بالغيوم . وأخشى ما أخشاه أن يتعرض لبطش المزايدات ، فيمسى هدفاً للطعن والاتهام ، فيغرق فى البحر الميت ، بحر الصمت والتجمد واللامبالاة . وأتساءل أين الشعب

الفلسطينى فى هذه المحنة المزمنة ، وهو صاحب القضية وصاحب الرأى الأول والأخير فيها ؟ لماذا لانرجع إليه لعله ينتشل الأوصياء من الظلمات التى يتخبطون فيها ؟. إن يكن ثمة خلاف حول من يمثله فليحسم الأمر بإعلان رأيه فى ذلك ، وإن يكن هناك أكثر من تصور لحل القضية فلتطرح جميع التصورات عليه،وليجر على ذلك استفتاء داخل أرضه وخارجها ، تحت إشراف هيئة الأمم ، وعلى الجميع بعد ذلك أن يلتزموا برأيه ، ويمضوا راشدين فى تنفيذه دون تردد أو انتظار، هو الشعب الذى يعانى تحت وطأة الاحتلال أو فى غيابات المهاجر، وهو الذى تكتنفه الكوارث وتهدد أمنه يوماً بعد يوم ، وهو فى النهاية صاحب القضية ، وصاحب الرأى النهائى فى تقرير المصير.

١٩٨٥/٢/٢٨.

الحضارة والحفرة

أمر محزن أن تلقى صديقاً طريح فراش فى مستشفى. وأدعى للحزن أن يكون السبب حادثة من حوادث الطريق. وأشد إثارة للحزن والأسف أن تكون الحادثة هى سقوطه ليلاً بسيارته فى حفرة فينكسر له ضلع وتتهتك ترقوة. والحفرة من صنع شركة انتدبت لإنجاز مهمة، ولعلها أدت عملها بالدقة المطلوبة وأولت كل بُعد حقه، ولكنها لم تُعْنَ بإقامة حاجز أو إنذار ضوئى لتبصير الراجل والراكب.. فكل شىء قد يكون له قيمة وحساب إلا الإنسان، فلا قيمة له ولا حساب، سواء عند الشركة أو لدى أجهزة الرقابة، وربما لا يثير الموضوع دهشة أو عجباً، لا لتفاهته، ولكن لكثرة ما يشاهد فى الطريق من حُفَرٍ وتلالٍ وصناديق كهربائية مكشوفة وغير ذلك، ويحدثنا أهل الخبرة ممن يزورون البلاد الأجنبية عما يشاهدون هناك من آيات مبهرة للنظافة والأناقة والجمال، ويحدثوننا بصفة خاصة عما

يختص به الإنسان من رعاية وعناية واحترام، لا على مستوى الحقوق الدستورية فحسب، ولكن فى المعاملة اليومية، سواء فى الطريق أو فى أماكن الخدمات. الدولة والقانون والنظام والتقاليد تتبارى فى خدمته والسهر على راحته، وتعويضه عن أى أذى يلحق به، مما يفوق أى خيال. إنه جو دافىء ــ برغم برودته الطبيعية ــ بالحب والإنسانية، ويحتل الفرد فيه المكانة اللائقة به وبإنسانيته فعلاً وحقًا. فلا عجب بعد ذلك أن يبادل الفرد مجتمعه حبًا بحب، ورعاية برعاية، وانتماءً بانتماء. إذا أردت أن تحكم على حضارة ما فلا تتعب عينيك بمراجعة الدستور والقوانين، ولا تهتم بالاستماع إلى الشعارات والتصريحات، ولكن راقب أى فرد فى تعامله مع الدولة، مع أى موظف من موظفيها، ولأى شأن من شئونه أو شئونها، تابع ما يجرى بينهما من حوار وتوجيهات وسلوك، وسوف تسفر لك الحضارة عن وجهها الحقيقى، معذرة، إنى أدافع عن الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين.

.١٩٨٥/٣/٧

الطريق الثالث

يعلل مفكرون كثيرون أى خلل فى حياتنا الاقتصادية أو السياسية باتباعنا لسياسة متميعة، غير ملتزمة بخط واضح واحد، فتأخذ من اليمين تارة حتى يظن أنها يمينية، وتأخذ من اليسار تارة حتى يظن أنها انقلبت يسارية.

والنصيحة التى يؤكدون عليها هى أن تختار الدولة لنفسها طريقاً، فإما اقتصاد تهيمن عليه الدولة فى كل كبيرة وصغيرة، وإما اقتصاد حر لا تتدخل الدولة فيه. بهذا المنظار يقرءون صفحة حياتنا سطراً سطراً، وبه يفسرون أى سلبية تلحق بأى ناحية من نواحى النشاط، كتخلف الإنتاج وارتفاع الأسعار، وهبوط قيمة الجنيه المصرى، الخ. وكأنه لا يوجد فى سياسة الأمم إلا طريقان متناقضان لا يجتمعان أبداً، فإذا تحايلنا للجمع بينهما أفرخا شرًا وإحباطاً.

ولكنا إن ألقينا نظرة على العالم من حولنا، بل إذا تذكرنا التجارب التى مرت بنا تحت مظلة ثورة يوليو، وضح لنا أنه يوجد طريق ثالث، يتسم بالوسطية ويفسح المجال للقطاعين العام والخاص، وقد سعدت به أمم كثيرة كالسويد. ولا أغالى إن قلت إن تجربتنا الراهنة تبشر بالنجاح ولو بعد حين. وهل تحولنا عن الانغلاق إلا بعد أن تدنى اقتصادنا إلى درجة الصفر؟، وهل أقلعنا عن الانفتاح الأهوج إلا بعد أن جعل من بلادنا سركاً للانتهازية وقطاع الطرق؟. وها نحن نخوض تجربة الطريق الثالث فى رعاية ديمقراطية متصاعدة، وننفذ الخطة بتوفيق غير منكور، مع احترام لحق المجتمع، وتشجيع للنشاط الفردى المستقيم.

ولا أنكر ما يعتور العمل من زلات وأخطاء وغموض وتسرع، ولكنه يجد فى جو الديمقراطية وحرية الصحافة النقد الموضوعى والتقويم السليم والتحذير الواجب، فيلم شعثه ويصحح خطوه.

علينا أن نهيىء للطريق الثالث كافة أسباب النجاح، وأن نؤيده بكل ما نملك من قوة. إنه طريق ثورة يوليو فى أحسن أحوالها، وتباركه روح الإسلام الرحيم.

١٩٨٥/٣/٢٨.

أزهار فى طريق الصبر

التنمية الشاملة ما هى إلا تسمية جديدة لما عرف فى التاريخ بالنهضة الشاملة، وخاصة إذا ركزت على الأسس والأصول لا المسكنات الوقتية، وهى تستهدف تحقيق مثل أعلى للمجتمع، ويقتضى تنفيذها زمنا طويلاً، أو على الأقل زمناً غير قصير.

وشعبنا فى أغلبيته مرهق بمتاعب المعيشة والغلاء، وتعثر الخدمات، وسوء المناخ، ملهوف على التماس أى سبب من أسباب التغيير والإصلاح، وإذا طال انتظاره دون ثمرة محققة ـ والمطحون لا يعذر ـ ساء ظنه وتزعزعت ثقته، وصب اتهاماته دون مراعاة للتخطيط المدروس والجهد المبذول.

من هنا تجىء الأهمية القصوى للإنجازات السريعة للنقص المتراكم على هامش الغايات الكبرى، وتأثيره العاجل الطيب فى

أنفس المواطنين، هذا ما يجب فعله دون إبطاء أو تأجيل، وباستمرارية لا تتردد أو تتوقف، ومتابعة متحركة يقظة متقصية. ويدخل فى هذا المجال الحرص على تنفيذ القوانين، خاصة المتعلقة بأمن المواطن وسلامته وراحته. وحسن المعاملة، وتيسير الإجراءات. واحترام الإنسان فى شخصه ووقته وجهده، ومواصلة الانضباط فى الشارع، وشتى المواقع، ويبرز فى مقدمة ذلك كله دعم الديمقراطية فى المؤسسات، ومن أجل ذلك يجب أن نعيد النظر فى الدستور، وأن نلغى القوانين سيئة السمعة، كى يتنفس الناس فى مناخ صحى صالح، يخفف عنهم وطأة الحياة اليومية، ويخلق الثقة بينهم وبين الدولة، ويعينهم على الانتظار فيما تدعو الضرورة فيه إلى الانتظار والصبر، وجميع ما أدعو إلى تحقيقه يعتبر من صميم التنمية الشاملة، ولكنه فى الوقت نفسه يعد ضمن الدوافع التى تدعمها وتهيىء لها فرص النجاح.

١١/٤/١٩٨٥.

يوم من أيام الحكمة

اليوم عيد، عيد تحرير سيناء، أو عيد تحرير الوطن باعتبار الأرض وحدة لاتتجزأ، وأخذاً بهذا المبدأ ننتظر على لهف استرداد طابة بصرف النظر عن أهميتها أو مساحتها. وأول مايتبادر إلى قلوبنا أن نبتهل بالدعاء والرحمة لشهداء التحرير من الجنود والضباط والمواطنين، وأن نذكر بالإكبار والتبجيل أنور السادات لإنجازه القومى الرائع داعين الآخرين إلى ذكره كما يذكرون سلبياته لدى كل مناسبة. ولنذكر سياسته بين الحرب والسلام، أو التى استخدمت الحرب سبيلاً للسلام، وكيف استردت لنا جانب الوطن الذى فقدناه أعواماً مليئة بالحزن والقهر والكمد.

وكانت لنا قبل ذلك سياسة أخرى طمحت إلى تحرير أوطان، وتَزَعُّم أقوام، وتحدى دول، وانتكس مسعاها، فانحصرت فى موقف حرج دارت أقصىَ الآمال فيه على استرداد الأراضى المفقودة بعد

٥ يونية، نقلة عنيفة من التسلط إلى التسول أفرخت فى أجيال من الشباب حزناً قاتماً ويأساً مريراً ولا مبالاة ضارية مع تفتت قيم عزيزة فردية وأسرية واجتماعية، فليكن لنا من الماضى القريب عبرة نهتدى بنورها إلى طريق السلامة والنهضة، ونتعلم منها أن الحياة الحقة تقوم على الحكمة والعلم والعمل، وأن الله يرحم من يعرف قدر نفسه. اليوم وجه سيناء يتغير ويزحف عليه العمران والحضارة، وترسم له الخطط لمستقبل أفضل يليق بإمكاناته الزراعية والمعدنية والسياحية.

لقد استسلمنا للخيال وأحلام اليقظة عهداً حتى ارتطمنا بصخور الواقع، وأخذنا بالحكمة والسياسة والواقع، فانتشلنا أنفسنا من هاوية الخراب، واتجهنا نحو الطريق الصحيح، طريق الديموقراطية والعلم والعمل. فالمزيد المزيد من الحذر، والمزيد المزيد من الحكمة والعلم والعمل.

١٩٨٥/٤/٢٥

سكة السلامة

منذ التاريخ القديم لم تنعم مصر باستقلال حقيقى وقدرة على تقرير المصير إلا فى رحاب ثورة يوليو، تحررت إرادتها من أى سلطة دخيلة شرعية أو غير شرعية، فتولى حكمها أبناؤها، وشقوا بسفينتها بحراً عاصفاً متطلعين نحو مرفأ سلام ورخاء. ولن أذكرك بالتاريخ الذى صنعته فى تلك الفترة، فأنت ولا شك تذكره، تذكر ما قام من بناء وما تهدم، تذكر معارك الهزيمة والنصر، التنمية والتوقف، واستئناف التنمية، تذكر تجارب الحكم من المطلق إلى المطلق المطعم بالديموقراطية، إلى الديموقراطية المتمهلة، وتذكر الانغلاق ومحنته، والانفتاح وكوارثه، ثم طريق الوسط وعثراته، تذكر الآمال الكبيرة التى ثمل بها الشعب، والإحباطات المريرة التى تجرعها، وتذكر طبعاً الغلاء والديون والتسول، واختلال الطبقات، وانفجار الانحرافات، وأمراض الشباب، وحسرات الشيوخ.

تاريخ ملىء بالآلام والعبر، حافل بذكريات حلوة، وأخرى أمر من العلقم، وأنكى من السم الزعاف، وقد تحملناه وتصبرنا عليه ربما باعتباره امتحاناً لا مفر منه للاستقلال الوليد، بل إننا على أتم الاستعداد لأن نضعه على العين والرأس باعتباره تجربة قاسية فى سبيل الاهتداء إلى طريق الرشد والنهضة، ونفض السلبيات عن روح الأمة المعذبة واستشراف غد واعد بالخير والبركات والشرف. وعلى الوجه الثالث لثورة يوليو، وجه الديمقراطية والتجديد والتطهير أن يثبت ذلك لا بالكلام ولا بالتصريحات ولا بالوعود، وإنما بالعمل الجاد الخلاق المستمر، فى جو الحرية والمساواة والقانون والفضيلة.

لم يبق أمامنا فائض وقت ولا خيار، فإما النجاح ـ والأفق لا يخلو من بشائره ـ وإما التردى فى المجهول، والله مع المجتهدين إذا أحسنوا أن يكونوا مع أنفسهم.

.١٩٨٥/٥/٩

حركة مباركة

انطلقت من ساحتنا العربية شرارة نشاط يقظ نرجو ألا تنطفئ أبداً حتى تحقق أهدافها . وهى تدل على أننا قد ضقنا بموقف الانتظار والسلبية ، وأننا عزمنا على أن نواجه المستقبل بالفكر العملى والحوار المثمر وتحمل الأمانة قِبَلَ أنفسنا وقِبَلَ الأجيال القادمة . وأرجو ألا يقتصر الدافع على هذه الحركة المباركة على التماس الوسيلة لحل القضية العربية حلاً عادلاً شاملاً ، ولكن يتضمن أيضاً دافعاً نحو مراجعة موقفنا الحضارى على ضوء العصر ومتطلباته . وبمعنى آخر أرجو أن يكون التصميم على حل القضية ترجمة عن اتجاه أقوى وأعمق نحو التقدم والنهوض فى حياتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

مازلنا نقف عند السفح من جبل عال من الإبداعات العلمية والرقى الاجتماعى والرؤية الجديدة للإنسان والكون ، كأننا الريفيون

الطيبون على أعتاب مدينة معاصرة تموج بالعجائب ، فعلينا أن نخطط للحياة الجديدة تخطيطاً شاملاً يقوم على المنهج العلمى ، والإصرار على معايشة الحياة فى أسمى تطوراتها ، وإلا فاتنا القطار وأصبحنا من مخلفات عصر بائد، وعجائب طور منقضٍ. وعلى أى حال فنحن لا نبدأ من الصفر، فلنا إنجازات فى الزراعة والصناعة ، ولنا امتياز فى الموقع ، ولنا كوادر وخبرات فى مختلف الأنشطة ، ولنا إلى ذلك كله من ماضينا قيم راسخة ثابتة هى خير ضمان للاستقامة والرشد.

بل وما زلنا نملك من أموال البترول ما يمكن أن نستثمره فى سبُله الصحيحة ، لينمو نمواً مثمراً طبيعيًّا ، وينمى معه الأرض والعقل والإرادة. لاينقصنا إلا أن نعترف بأننا بددنا من الوقت الكثير، وأن علينا أن نستغل من الآن فصاعداً كل دقيقة وكل ثانية لخير الحاضر والمستقبل.

١٦/٥/١٩٨٥.

الاستقلال فى حياة الغابة

أفهم أن نكون حريصين كل الحرص على استقلالنا ، فهو مطلب تشربنا مضمونه منذ المهد ، وشقينا فى سبيل تحقيقه طول العمر ، ونلناه بالدم والعرق وشق الأنفس . أما مالا أفهمه فهو أن نفرط فى الحفاظ عليه أو نتهاون فى ذلك جزءاً من حمل أمانته .

وللحفاظ عليه فى عصرنا طريق واضح ، هو أن نعتمد على أنفسنا اعتماداً يغنينا عن مساعدة الغير والوقوع تحت رحمته ، وأن نلتزم بذلك مهما كلفنا من جهد أو تضحية . أن نضغط مصروفاتنا بحيث لا يهدر مليم واحد بلا ضرورة ملحة ، أن ندفع عجلة الإنتاج إلى أقصى درجات طاقاتها ، أن نستغل كل قوانا العاملة وكل وقت متاح لنا دون تساهل أو تراخ ، أن نشجع منتجاتنا حتى وإن قلت عن مثيلاتها درجة أو درجتين فى المتانة والجمال ، أن نحصل حق الدولة كاملاً ومن كل على قدر قوته ، أن نحافظ على طهارة العمل واستقامته

ونطارد المنحرفين بلا تهاون، وإن أى عدول عن هذا الخط فهو بمثابة الخيانة العظمى لنا وللأجيال القادمة.

علينا أن نبلغ التوازن فى موازنتنا وميزاننا التجارى؛ ليعود التوازن إلى حياتنا أفراداً وجماعات وأخلاقاً وقيماً..

فإن فعلنا ذلك كله وتعذر علينا الوصول إلى الهدف، أو تعذر الوصول إليه إلا بعد حين، إذا طرقنا كل باب، وجربنا كل وسيلة وظلت الحاجة ملحة إلى المعونة الخارجية-فعلينا أن نتذكر حقيقة واقعة وبديهية بقدر ما هى مرة، وهى أن المعاملة بين الدول لا تقوم على الشهامة أو المروءة أو الرحمة، ولكن على مبدأ المصالح المتبادلة، فعلى من يريد أن يأخذ أن يعطى، وعلى من يريد أن يطلب أن يمنح، وليكن ذلك ضمن التضحيات المرحلية التى علينا أن نبذلها كارهين، وبلا شكوى أو احتجاج أو غضب لا معنى لها.

طريق الحياة محفوف بالمكاره القاسية، وهو يتطلب قوة وجدية وحزماً وتضحية بلا ندم.

وطريق الاستقلال واضح، وعلى من يحرص عليه أن يؤدى له حقه كاملاً لينعم به غير منقوص.

١٩٨٥/٥/٢٣.

حيرة المشاهد

لعلى أدرك أبعاد المتاعب التى تواجهها الدولة فى حياتنا الراهنة : ما ورثته من هياكل أساسية مهدمة أو آيلة للسقوط ، ما تتطلبه التنمية الشاملة من مال وجهد ، مشكلات التضخم والغلاء ، ما سرى نتيجة لذلك من انحلال فى الأعصاب والقلوب والقيم . أدرك ذلك وأتابع ما نخوض من معارك لتقويمه وترميمه وتجديده ، أو إعادة بنائه . أما ما لا أدرك سره فهو ما نضيفه إلى المتاعب الموروثة من مضاعفات خبيثة نتيجة لتصرفات يحار المرء فى تعليلها أو فهمها ، وخاصة إذا مس ذلك نشاطنا الاقتصادى ، وهو مجال شديد الحساسية ، عظيم الخطورة ، لا ينأى عن عواقبه نشاط . على مدى ثلاثة أشهر تصدر قرارات مسبوقة بدراسة متأنية ومراجعات كثيرة ، تثير ضجة مزعجة ما بين قبول قليل ورفض كثير ، وبعد عشرة أيام تصدر قرارات جديدة مصححة للأولى ، وتستمر الضجة المزعجة ما بين القبول القليل والرفض الكثير ،

وبين هذا وذاك ينفجر بركان من الاتهامات، تصيب بعض شواظه الذمة والنزاهة، ويقع البعض الآخر على المسئولية الوزارية برمتها كوظيفة أولى لمجلس الوزراء. ويصل الأمر للقضاء، فتتضمن حيثياته نقداً للنزاهة وأسلوب العمل. وعند ذاك يذهب وزير ويجيء آخر، وتصدر قرارات اقتصادية جديدة تعتبر إلغاء للأولى التى جاءت بعد دراسة متأنية مع إدخال شيء من التعديل عليها. ماعسى أن يقول مشاهد لهذه المسرحية، خاصة إذا لم يكن من أهل الخبرة بمضمونها؟ ماعسى أن يقول، وخاصة إذا تذكر أنه يوجد بمجلس الوزراء مجموعة اقتصادية من الدكاترة، فضلاً عن مجلس الشعب والشورى، والمجالس القومية المتخصصة؟ ويتحدثون عما أصاب السوق والمصانع والسمعة من أضرار فادحة، ولا شرح، ولا حساب، ولا جزاء. ماذا أقول بعد ذلك؟

١٩٨٥/٥/٣٠.

ترشيد الترشيد

اتخذت قرارات هامة لترشيد الطاقة فى مجالى الإنارة فى الشوارع والبث التليفزيونى ، ونحن نحمد للمسئولين تفكيرهم ونبارك قراراتهم ، ونعلن تأييدنا لكل ترشيد من شأنه أن يضبط الإنفاق ويعمل على إعادة التوازن إلى ميزانيتنا . غير أننا لا نحب للترشيد أن يسلك طريق الارتجال أو يتأثر بنشاط وزارة دون أخرى ، أو يجرى كيفما اتفق مرة هنا ومرة هناك . فهذه سياسة قد تحقق وفراً،ولكنها قد تبدأ بما يمكن تأجيله،وتؤجل مالا يحسن تأجيله ، وتنسى مالا يجوز نسيانه . مثال ذلك أن نقلل من الإنارة ونبقى على شىء من الإسراف فى الاحتفالات ، مما يفقد القرارات بعض رونقها وحكمتها . السياسة السديدة فى هذا الشأن هى التى تقوم على الشمول والدراسة والتخطيط ، والتى ترتب موادها تبعاً للأهمية والتفاعل مع المصلحة العامة وراحة الجماهير، ثم يتقرر التخفيض والتوفير من خلال نظام عادل دقيق . وربما اقتضت

الضرورة أو الحكمة أو الاثنتان معاً ألا تعلن القرارات مرة واحدة ، ولكن على دفعات متفرقة ، ولكن ذلك لايمنع من أن يتبع الإعلان نظاماً يراعى فيه العدل واحترام الجماهير، مع تجنب استفزازها أو تكدير صفوها ما أمكن . والجمهور على استعداد فيما أعتقد لبذل المزيد من التضحية والصبر والتصبر إذا اقتنع بجدية القرار وعدالته ورعايته للمصلحة العامة. وللقرار العادل فائدة أخرى ، وهى أنه يثبت دعائم الثقة بين الشعب والدولة .

١٩٨٥/٦/١٣ .

مشكلة عويصة

عدل وحكمة أن يحظى ذوو المرتبات الثابتة بما يعينهم على مواجهة تحديات المعيشة، ويشجعهم فى الوقت نفسه على مضاعفة الجهد فى الإنتاج، وخدمة الشعب والدولة بالأمانة والاستقامة وحسن الخلق. ومهما قلت فلن أجاوز القصد إذا أكدت على خطورة الدور الذى تؤديه هذه الفئة فى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فهم رابضون وراء كل نشاط من تعليم وصحة وتموين ومواصلات وأمن وغير ذلك. وعجز مرتباتهم عن إشباع ضرورات حياتهم هو الدافع الأول للكثيرين منهم للالتحاق بأعمال إضافية، كما أنه المسئول عن الانحرافات التى شوهت وجه إدارتنا، وهو فى النهاية من أسباب معاناة الجماهير المعذبة. وغالباً ماتقف الحكومة وكأنها مكتوفة اليدين أمام عمالها بمختلف درجاتهم؛ لأن العجز أغرق الرؤساء مع المرءوسين، ولأنها لايليق بها الحزم الصادق، وهى تعلم أنها لاتعطى مستخدميها مايكفى

الحد الأدنى من المعيشة. وهكذا تعثر الإنتاج، وساءت الخدمات، وانتشر الفساد، ولم يبق لنا من وسائل الإصلاح والتقويم إلا الموعظة ومخاطبة الضمائر والتحذير من المهالك. والمسألة بكل بساطة أن الموظف مشكلة ضخمة، بل لعله مشكلة المشاكل، ويوم نستطيع أن نحسم مشكلته أو مشكلة مرتبه بالحل الحاسم سيكون اليوم الذى يمكن أن نؤرخ به للإصلاح الحقيقى فى جميع المرافق. سيكون فى استطاعتنا ـ وبلا أدنى ظلم ـ أن نراقب عمله بالدقة الواجبة، ونطالبه بالأداء الكامل، ونحاسبه على الهفوة قبل الخطأ، ونكافئه بما يستحق إيجاباً وسلباً، وعندذاك يتغير الحال الأسيف فى الإنتاج والخدمات ومعاملة الجماهير، وتدور العجلة بإيقاع جديد، وتشرق الأرض حقًّا بنور ربها، فهل يتاح لنا أن نصحو من الكابوس لنستقبل صبحاً منيراً؟.

١٩٨٥/٦/٢٠.

معركة الحرية والحضارة

إننا نخوض معركة ضارية ، علينا أن نتأمل هذه الحقيقة ، وأن نؤمن بها، برغم السلام المحدود المعلن ، وبرغم السلام الذى نسعى بكل مثابرة وإخلاص إلى نشر ألويته حتى يرفرف فوق منطقتنا الممزقة ، بل فوق العالم الجريح كله ، من جنوب إفريقيا إلى أفغانستان ، برغم ذلك كله فنحن نخوض معركة ضارية .

معركة الدفاع عن النفس ، الدفاع عن الحضارة ، الدفاع عن التراث والتاريخ والحاضر والغد ، معركة مشهرة ضد التخلف والفقر واضطراب ميزان الحياة . سمها معركة التخلف إذا شئت ، أو معركة النهضة إن أحببت ، أو التنمية الشاملة كما تعودنا على أن نسميها . واستراتيجيتها تستهدف انتزاع موضع لنا فى حضارة العصر ، وتكتيكها يقوم على العمل اليومى اليقظ ، يشترك فيه كل مواطن ، من عامل النظافة حتى رئيس الجمهورية . وهى هدف وأى هدف لمن يفتقدون

الهدف ، ويؤكدون على ضرورته ، وهى أيديولوجية واسعة مرنة لمن يبحثون عن الانتماء، ونحو هذا الاتجاه يجب أن ترتفع الأصوات، وتنطق الأقلام، وتهدر أجهزة الإعلام، وتستبق الأحزاب مؤيدة ومعارضة .

ومن حسن الحظ أنها معركة إنسانية مفتوحة، لا تتخذ ذريعة إلى كبت أو قهر أو استبداد ، ولا تدعو إلى ألا يعلو صوت على صوت المعركة . إنها معركة لا تنتصر إلا فى جو الحرية ، ولا تحقق إنجازاتها إلا تحت مظلة الديموقراطية ، لأنها بطبعها تحتاج إلى كل رأى ، وكل وجهة نظر، وكل فكر، وتفيد من الاعتدال كما تفيد من اليمين واليسار، فالتخلف عدو الجميع والانتصار عليه هدف كل مواطن أمين . ولكنها أيضاً تحتاج إلى الحرية المسئولة ، الحرية التى تحترم النظام كما تحترم الرأى الآخر، وتنزع إلى الاستقرار كما تنزع إلى التعبير المطلق ، حرية الأحرار العاملين المجدين المجتهدين الساعين للخير بالقلب والإرادة والعقل .

١٩٨٥/٦/٢٧ .

الصورة بلا رتوش

إنه سباق بين قوة تستثمر ما تملك من إمكانات فى تحقيق التنمية الشاملة، مستهدفة التغلب على أزمة طاحنة، لبلوغ درجة طبيعية من التوازن تصلح منطلقاً للتقدم والرخاء، وبين قوة تتربص بها مستغلة الأخطاء ومعاناة الجماهير للوثوب فى اللحظة المواتية. وبين القوتين يعيش الشعب حياته مناجياً صبره التقليدى الأصيل، تتجاذبه عوامل الإحباط والأمل، ويتأثر على درجات متفاوتة بمدى إدراكه لأبعاد المعركة المحتدمة من حوله. ولعل أشد ما يعترض سبيل القوة الأولى هو صعوبة مهمتها، وتعذر تحقيق أهدافها فى المدى القريب، فقد ورثت من المشكلات ما يفوق الحد كمًّا وتعقيداً، وما يقتضى حلها البلايين من الجنيهات، وقد تنجح خطتان خمسيتان أو أكثر قبل أن يشعر الرجل المطحون بثمرة اجتهادها الدائب، بالإضافة إلى ما واكب عملها الوطنى من أزمة عالمية انعكست آثارها على الداخل، فضاعفت

من شدته وتأزمه ، وتطلبت بالتالى إجراءات جديدة ستزيد من مهمتها صعوبة وحرجاً . وبرغم تجهم الصورة فعلينا أن نحذف مفردات اليأس من قاموسنا ، وأن نؤمن إيماناً كاملاً بأنه لا بديل للصمود والصبر والنجاح ؛ لأن الآخرين لا يملكون حلولاً سحرية ، وحفاظاً على وحدة الأمة وتماسكها والمستقبل اللائق بعراقتها المجيدة فى العصر الحديث. ومن أجل ذلك يجب أن نتعاون تعاون العقلاء ، الذين يملى العقل عليهم أن يلتمسوا أقصر السبل إلى الصواب ، وأن يحوزوا القوة على انتقاء الذات ، وتصحيح الأخطاء ، ومواجهة الحقائق ، غير مراعين إلا وجه الحق والحقيقة ، وخير الوطن فى رعاية إيمان صادق بالله والناس .

.١٩٨٥/٩/٥

دواء لكل العصور

علينا أن نؤمن إيماناً حقيقيًا وعمليًا بأن الاعتماد على القوة وحدها في مواجهة تحديات الرأى سياسة فاشلة، لا أذكر لها فى التاريخ مثالاً موفقاً، على حين يزخر التاريخ بأمثلة لا تنسى لهزائمها. وما دمنا نؤمن بالحرية فعلينا أن نفتح النوافذ لهوائها النقى، خاصة وأن الحكمة تدعونا إلى رؤية الواقع والاعتراف بوجود تحدياته، وهيهات أن يمحوه التجاهل أو يلغى نذره. من أجل ذلك ذلك أقول إنه آن الأوان لإلغاء القيود المفتعلة التى تكبل حرية تكوين الأحزاب. فمن حق كل جماعة تتفق على رأى وخطة أن تكون حزباً، وأن تتقدم به إلى الشعب فى انتخابات حرة. ومن حق الشعب كذلك أن يعرف رأى كل جماعة وخطتها فى صورة برنامج شامل لا يترك كبيرة أو صغيرة مما يهمه معرفته، مثل نظام الحكم، والاقتصاد، والسياسة الخارجية، والتعليم، والثقافة، ودور الأقليات، والمرأة الخ الخ. وسيكون من نتيجة ذلك

أن يخرج النشاط الخفى من الظلمات إلى النور، ومن الغموض إلى الوضوح ، مكتسباً حقه المشروع فى العمل ، ومعطياً الناس حقهم فى المعرفة وفيما يريده منهم ولهم . وقد يترتب على ذلك اندماج بين أحزاب متقاربة فتزداد قوة ، وقد يبث فى جميع الأحزاب نشاطاً جديداً يدفعها لمزيد من الاتجاه نحو الشعب والاندماج فى مشاكله واستقطاب شبابه ، واقتراح الأهداف التى تشد القلوب وتحرك الإرادات وتبعث الانتماء والحماس . وافتراض هذا اقتراح يتفق مع مضمون الحرية فى كل وقت ، ولكنه يعتبر ضرورة ملحة فى الظروف الراهنة لا يجوز تأجيلها أو إغفال ندائها ، أما القوة فلا يلجأ إليها الحر إلا دفاعاً عن الحرية ، وكوسيلة أخيرة للتعامل مع من يرفضون الحوار ويؤثرون القوة .

١٩٨٥/٩/١٢ .

دور الدولـــة

لعل دور الدول فى مهمة الخلاص والإنقاذ سيظل الأول والأهم فى جميع الظروف والأحوال.. ويندرج تحت مضمونها الذى أعنيه حزب الأغلبية، بل لا أكاد استثنى من ذلك أحزاب المعارضة المشاركة فى الحكم داخل مجلس الشعب، وهى ـ الدولة ـ تستطيع أن تحتوى جميع ما يهدد سلامة البناء إذا قهرت الأزمة، وحلت المشكلات، وأعادت المجتمع إلى توازنه وصحته. وقد قلنا فيما سبق إن النجاح المنشود يقتضى زمناً غير قصير، وإنه يلزمنا أكثر من خطة خمسية موفقة قبل أن نبلغ مرفأ الأمان، فلم يبق أمامها إلا اكتساب الثقة بالعمل الجاد والاستقامة الكاملة والقدوة الصالحة والعدالة المطلقة والانضباط الحاسم. ومما ينعش النفس بالأمل فى هذا الجو الملبد بالغيوم أنها بدأت بالفعل تعيد النظر فيما يعترضها من مشكلات بحزم وواقعية فيما يتعلق بالجهاز الحكومى والقطاع العام وضغط المصروفات

ومطاردة الانحراف ، وتجديد نظام التعليم ، والعمل على اشتراك أفراد الشعب فى واجبات التنمية ، كلٌ بحسب موقعه . إن اكتساب الثقة ليس بالمهمة اليسيرة ، ولكنها ليست مستحيلة كذلك إذا خلصت النوايا وصدقت العزائم . وبالإضافة إلى ذلك فثمة مجال للإنجاز والأداء لا يحتاج إلى عملة أجنبية ولا إلى قروض ، ولكنه يحتاج حتماً إلى العزم والحزم والإخلاص والمراقبة والمتابعة والاستمرارية فى ذلك كله ، ولنا تجربة ماثلة وناجحة فى نشاط وزارة الداخلية ووزيرها ، وما علينا إلا أن نؤمن بالواجب واحترام المواطن ، وحقه الإنسانى فى المعاملة الرفيعة والخدمة ، والحفاظ على كرامته وصحته ، ومكاشفته بالحقائق ، وتجنب التصريحات الهوائية ، ليكون دائماً على استعداد لملاقاة التحديات وما تتطلبه من صبر وصمود . قدموا للشعب عملاً وإخلاصاً وصدقاً ونزاهة ، يرده عليكم ثقة ومعاونة واستجابة وولاء .

١٩٨٥/٩/٢٦ .

خطـة لا تتوقـف

أخيراً وليس آخراً أعود إلى موضوع قديم كتبت فيه مراراً وتكراراً ولا أملّ معالجته، بل إنه يتجدد كلما ترددت شائعات عن تغيير فى الوزارة، أو يهدد الأمن سبب من الأسباب فى الداخل أو الخارج مما يستقطب نشاط المسئولين، فيضيف إلى أعبائهم أعباء جديدة برغم تعدد المهام وتكاثر المشكلات. والموضوع فى كلمة: أن الخطة يجب أن تسير بلا توقف أو تردد، وأن ترعاها العناية الكاملة بالمراقبة والمتابعة والتنفيذ العلمى السليم، يجب أن تتقدم سواء نعمنا بالاستقرار أو تعرضنا لشىء من القلق، وفى جميع الأحوال من الهدوء أو الاضطراب، من السكينة أو الصراع، بل فى السلام والحرب على السواء، ليست الخطة مما يمكن تأجيله بعض الوقت أو التهاون فيه فترة ما أو إغفاله ساعة واحدة من حياتنا، فما هى إلا حياتنا الحاضرة والمستقبلة، من أجل ذلك لا مفر من إنشاء جهاز خاص بها، لا يهمه

فى الوجود إلا السهر على تنفيذها ومتابعتها ، جهاز ثابت لا يتغير بتغير الوزارات ، ولا يتوقف أو ينشغل بما يستجد من الأحداث ، يتكون فى كل وزارة من فنيين على درجة عالية من الكفاءة والنزاهة ، يرأسهم وكيل وزارة دائم متفرغ ، أو نائب وزير ، يعمل تحت إشراف الوزير فى الظروف العادية ، ويكون له حق الاستقلال بالقرار تلقائياً إذا انشغل الوزير بالأمور العامة أو الطارئة أو حدث تغيير وزارى مما يقع بين الحين والحين . قد يكون للخطة أعداء يسوءهم نجاحها كما نسمع أحياناً ، وقد يفتعلون الأسباب لتعطيل مسيرتها ، فلا يجوز أن نمكنهم من تحقيق أهدافهم ، فضلاً عن أن نجاح الخطة هو هدفنا الأول فى هذه الفترة الهامة من حضارتنا . الله أسأل أن يحقق آمالنا ، وأن ينقذ وطننا من المهالك .

١٩٨٥/١٠/٣ .

هل جزاء القتل إلا القتل؟

يبدو أن خطر السموم البيضاء قد استفحل لدرجة اقتضت التصدى له على المستوى القومى، وهو خطر داهم مدمر وذو عواقب وخيمة سريعة قد يقضى على زهرة شبابنا وقوانا العاملة، وينقض على نهضتنا بنكسة تهون إلى جانبها نكسات الحروب والاقتصاد والرجعية. وإن الذاكرة لتعود بى إلى منتصف العقد الثالث من هذا القرن عندما كنت أرى فى صباى بعض ضحايا السموم مُلْقَيْن فى جنبات الطرق كالهياكل العظمية، كما تعود بى إلى الحملات الصحافية الغاضبة التى تحذر الشعب وتحث الحكومة على العمل الجاد للقضاء على الداء الوبيل، كما أذكر زياراتنا المدرسية لمتحف فؤاد الأول الصحى للاطلاع التفصيلى المصور للداء وسريانه وأثره فى المخ والأعصاب، ونماذج من ضحاياه مما كان له أثر لم يمح من خيالى حتى اليوم، وقد وثبت الشرطة لمطاردة المهربين والموزعين وبالهمة

الجادة والعزيمة الصادقة، والشعور القومى بالمسئولية قضى على السموم وتجارها فى مدة قصيرة مثالية، ونجت البلاد من شرها فأصبحت لا تذكر إلا كأسطورة جهنمية من أساطير الأولين، وقدمت الشرطة وقتــذاك مثلاً حيًّا للإخلاص فى العمل واليقظة والوطنية يجب أن يذكر لها على مدى الأيام، ولا شك أن مقاومة السموم تقتضى سياسة عامة تقوم دعائمها على أصول تربوية وسياسية وثقافية وإعلامية، وتتطلب عملاً دءوباً طويل المدى، غير أن مواجهة الخطر الداهم تحتم اتخاذ إجراءات عاجلة غير قابلة للتأجيل، ونأمل أول ما نأمل فى رجال شرطتنا، فهم لا يقلون عن أسلافهم غيرة ووطنية وشعوراً بالمسئولية، ويتفوقون عليهم بالخبرة والعلم والحداثة، خاصة وهم يعملون تحت قيادة رجل يشهد له الجميع بالحزم والعزم والمقدرة، ونأمل أيضاً فى ألا تأخذنا بالمجرمين رحمة، فيجب أن يكون الإعدام جزاء المهرب والموزع، وأن يتم دون إبطاء للزجر والعبرة والمسألة فى كلمة: إما القتال أو الانتحار، والله فى عون المرء مادام المرء فى عون أخيه.

٢٤/١٠/١٩٨٥.

المواجهـة بلا تردد

الصحوة فيا أرى بعث للشخصية ينتشلها من النوم أو الاستسلام للعادة، وينفخ فيها روحاً جديدة للنشاط والإبداع وتحدى الصعاب لبلوغ درجة رفيعة من الكمال والإنسانية، ويصحبها لدى وجودها مصباح منير يضيء للإنسان ما حوله، فيرى كيف يحيا وأى قيم يعتنق، وأى سلوك يفضل، فتتكشف له نفسه بوضوح جديد، معلنة بصراحة عن سلبياتها ومعوقاتها، وما تجاوزه الزمان من عاداته فيتوثب للإنقاذ والتغيير ثم البناء والتعمير، وأنظر على ضوء المصباح فأرى أول ما أرى أننا نطمح إلى حياة متقدمة ولكننا نلتمس إليها الوسائل المريحة، فنعتمد على ذواتنا متجنبين إرهاقها ما أمكن، ونستغل إمكاناتنا برفق وهوادة وتسامح، مستكملين ما ينقصنا بعد ذلك بالاعتماد على الغير خبرة وقروضاً وإعانات. وإذن فالصحوة يجب أن تعنى أول ما تعنى الاعتماد على النفس ورفض التسول فى أى صورة من صوره. وتعنى

أيضاً أن ننظر إلى واقعنا بعين جديدة وعزيمة جديدة ، كى نحصل المال العام دون فاقد ، ونضغط الإنفاق إلى حد التقشف والصرامة ، ونندفع فى الإنتاج بعنف من يدفع عن نفسه غائلة الموت ، فإذا وجد بعد ذلك كله عجز بين الدخل والمنصرف فلا مفر من تقصير خطوط طموحنا ، بشرط أن نرتب أنشطتنا تبعاً لأهميتها بالنسبة لتطورنا الحضارى فنبدأ بالأقل ، ومع مراعاة العدل والتضامن الاجتماعى حتى يتحمل كلٌّ على قدر طاقته ، ثم نقبل بكل رجولة وصبر ما تفرضه يقظتنا الروحية من تضحيات وآلام ننصهر بها ونتربى فى عذاباتها ، وهى خليقة بأن تخلق منا رجالاً غير الرجال ، وأمة غير الأمة ، ولن نستحق الحياة الشريفة حتى نؤدى ضريبتها دون تهرب أو تحايل . وهذه هى الصحوة إن كنا صادقين .

١٩٨٥/١٢/٥ .

حوار عن المستقبل

أعتقد أن التفكير قد بدأ لوضع الخطة الخمسية الثانية ، ولعله من المستحسن أن نخرج عن الطريق التقليدى فى عرضها ودراستها ، بمعنى ألا نكتفى بمناقشتها فى مجلس الوزراء وحزب الأغلبية ومجلس الشعب ، ولكن يجب أن تعرض كذلك على الأحزاب التى لم توفق إلى الاشتراك فى مجلس الشعب كالتجمع والأحرار، والتجمعات السياسية التى لم يعترف بها بعد كأحزاب ، بل يا حبذا لو عرضت أيضاً على اتحاد الطلاب استطلاعاً لآراء الشباب ، وتدريباً له على التفاعل مع مشكلات الوطن ، والتفكير فيها بجدية والتزام ، وكم أود بعد الانتهاء من الدراسات أن يدعى إلى مؤتمر عام لمناقشة الآراء المختلفة ، بحيث تجيء الخطة ممثلة فى بعض جوانبها على الأقل لما ينعقد عليه الرأى بين الجميع ، ولن يقلل من قيمة المناقشة صدورها أحياناً عن رؤى متناقضة تناقضاً جذرياً ، فنحن نعلم ابتداء أنه يوجد بيننا من يؤمن

بإمكان قيام اقتصادنا على القطاعين العام والخاص معاً ، كما نعلم أن ثمة فريقاً يرى إلغاء القطاع الخاص أو تحجيمه ، إلى جانب فريق يرى تصفية القطاع العام أو تحجيمه ، ولكننا وإن اختلفنا مع هؤلاء وأولئك فى الرؤية الكلية المتكاملة فقد نجد فى آرائهم ما ننتفع به فى النهوض بهذا القطاع أو ذاك كل على حدة . وعلى أى حال فستكون فرصة طيبة لمعرفة ما يمكن الاتفاق عليه من أمورنا الداخلية والخارجية ، فننطلق فى إنجازه بعزم أشد وثقة أكبر ، وبالإضافة إلى ذلك فهناك موضوعات تؤرقنا جميعاً أو يجب أن تؤرقنا جميعاً ، ونكاد نتفق فى الرغبة فى إيجاد حل حاسم لها مثل التحرير من التبعية الاقتصادية ، ومشكلة الديون ، وتنقية الديموقراطية مما يعلق بها من استثناءات وقيود ، وبذلك تكون المناقشة فرصة لسماع حوار وطنى شامل قد يسفر عن أكثر من ثمرة .

١٩٨٥/١٢/١٢ .

لا حب من طرف واحد

موضوع يطاردنى دائماً ، إن لم أعد إليه عاد هو إلىّ ، هو الانتماء ، ربما هو نتيجة حتمية لمتابعة ما يجرى فى حياتنا يوماً بعد يوم ، وقد عرفت فى مطلع الحياة نوعاً من الانتماء لا يتكرر، إلا إذا توافرت له أسباب وجوده الأولى ، تغلغل فى نفوسنا فى رحاب ثورة وطنية عارمة ، وتحت مظلة هدف مركز هو الاستقلال ، ولكن الانتماء لا يكون صدى للحوادث الكبرى وحدها ، إنه ركيزة الحياة الاجتماعية فى جميع الأزمان والأحوال .

وحسبى منه حد أدنى لأبناء الأمة ، ودرجة من الضمير الاجتماعى تدفع الفرد للاهتمام بالآخرين وهو يهتم بشئون نفسه . أى قدر من الولاء العام يرافق ولاء الشخص لذاته ، وأتساءل كيف نخلق هذا الانتماء المتواضع ؟ فيذكرنى التساؤل بأمور لا يصح أن تنسى .

١ــ يذكرنى بأن الحب لا يكون حبًّا إلا إذا تبادله الطرفان، ولا حب من طرف واحد، فعلى المجتمع أن يبذل الحب لأفراده إذا شاء أن يحبوه، عليه أن يحترم حقوقهم الإنسانية، وأن يوفر لهم الاحترام فى الطريق والمصلحة والمدرسة والمستشفى الخ.

٢ــ وبعد أن يتحقق ذلك أو فى الأقل ونحن نحققه بهمة لا تخفى على أحد، يجيء دور التربية الوطنية فى المدرسة وأجهزة الإعلام حيث تكتسب الكلمة معناها الحى من الواقع لا من البلاغة.

٣ــ وعلينا أن نخلق لشبابنا هدفاً واضحاً يتطلعون إليه، ولعل خير هدف فى عصرنا هو التحرر من التخلف الذى لن يتيسر لنا إلا بالتفوق العلمى والتمسك بالقيم فى رحاب ديمقراطية شاملة.

٤ــ وأن يكون القادة قدوة فى الانتماء، أى قدوة فى الإخلاص فى العمل والنزاهة والصدق، فهم المصابيح التى تقود إلى السلامة أو الندامة.

٥ــ وأخيراً وليس آخراً أن تنشط الأحزاب لتؤدى رسالتها بين الجماهير، والشباب منهم خاصة؛ لتجندهم فى خدمة العمل الوطنى. لا حياة لنا إلا بالعمل، ولا عمل إلا بالانتماء.

١٩/١٢/١٩٨٥.

حياته

نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم أحمد الباشا.. هذا هو اسمه بالكامل.. أما اسمه الأول فهو نجيب محفوظ على اسم طبيب الولادة الشهير فى ذلك الوقت..

ولد فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩١١ بحى الجمالية لأب موظف ثم تاجر.. وهو أخ لأربع أخوات وأخوين، ولدوا وماتوا بالترتيب جميعاً..

التحق بالكتّاب، ثم بالمدرسة الابتدائية، ثم بمدرسة فؤاد الأول الثانوية، ثم بكلية الآداب،قسم الفلسفة،جامعة القاهرة التى تخرج فيها عام ١٩٣٤..

بعد أن سجل رسالة الماجستير تحت إشراف الشيخ مصطفى عبدالرازق بعنوان «مفهوم الجمال فى الفلسفة الإسلامية» اتجه إلى الأدب تماماً وانفصل عن الدراسات الأكاديمية..

تزوج عام ١٩٥٤ وأنجب ابنتين..

ولقد تدرج فى الوظائف: فعين كاتباً عام ١٩٣٤ بإدارة الجامعة حتى عام ١٩٣٨ حين عمل سكرتيراً للشيخ مصطفى عبد الرازق وزير الأوقاف حتى سنة ١٩٤٥ فنقل إلى مكتبة الغورى، ثم مديراً لمؤسسة القرض الحسن، بعدها عمل مديراً لمكتب فتحى رضوان وزير الإرشاد، فديراً للرقابة على المصنفات الفنية، فديراً عامًّا لمؤسسة دعم السينما، فستشاراً للمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون، فرئيساً لمجلس الادارة، فستشاراً لوزير الثقافة حتى أحيل إلى المعاش فى نوفمبر ١٩٧١ بعدها، وفى ديسمبر انضم إلى أسرة كتَّاب جريدة الأهرام، وحتى الآن..

وقد حصل على العديد من الجوائز والأوسمة قبل فوزه بجائزة نوبل، ففاز بجائزة قوت القلوب الدمرداشية عن رواية «رادوبيس» عام ١٩٤٣، وفاز بجائزة وزارة المعارف عن رواية «كفاح طيبة» عام ١٩٤٤، وفاز بجائزة مجمع اللغة العربية عن رواية «خان الخليلى» عام ١٩٤٦، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عن رواية «قصر الشوق» عام ١٩٥٧، وحصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٦٢، وفاز بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب عام ١٩٧٠، وحصل على جائزة رابطة التضامن الفرنسية العربية عن «الثلاثية» ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة المنيا عام ١٩٨٤ وحصل على قلادة النيل عام ١٩٨٨ ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة عام ١٩٨٩..

وقد كان للمقاهى ولا يزال دور هام فى حياته وأعماله ، فهى تمثل بالنسبة له النادى الاجتماعى والصالون الأدبى ، فهو لم ينضم إلى نادٍ، ولم يرتد أو ينشئ صالوناً ، وهى تمثل كذلك المسرح والسينما ، خاصة بعد أن انقطع عن ارتيادهما نتيجة لضعف بصره وسمعه جميعاً ، وهى تمثل أخيراً الرحلة اليومية والموسمية معاً خاصة أنه لا يميل بطبعه للسفر، باستثناء سفره الصيفى إلى الإسكندرية.. ومن أهم هذه المقاهى والتى اشتهرت بتردده عليها : مقهى عرابى بالعباسية ، مقهى الفيشاوى بالحسين ، كازينو الأوبرا ، مقهى لونابارك وكازينو بترو وفندق سان استيفانو بالإسكندرية ، كازينو قصر النيل ، مقهى ريش ،وأخيراً مقهى على بابا بميدان التحرير بالقاهرة .

أعمال الكاتب

أعماله بالعربية :

- الروايــة :

١ - عبث الأقدار ١٩٣٩ .
٢ -رادوبيس ١٩٤٣.
٣ - كفاح طيبة ١٩٤٤.
٤ - القاهرة الجديدة ١٩٤٥.
٥- خان الخليلى ١٩٤٦.
٦ - زقاق المدق ١٩٤٧.
٧ - السراب ١٩٤٨.
٨ - بداية ونهاية ١٩٤٩.
٩ - بين القصرين ١٩٥٦.
١٠ - قصر الشوق ١٩٥٧.
١١ - السكرية ١٩٥٧ .
١٢ - أولاد حارتنا ١٩٦٠ .

١٣ - اللص والكلاب ١٩٦١.
١٤ - السمان والخريف ١٩٦٢.
١٥ - الطريق ١٩٦٤.
١٦ - الشحاذ ١٩٦٥.
١٧ - ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦.
١٨ - ميرامار ١٩٦٧.
١٩ - المرايا ١٩٧٢.
٢٠ - الحب تحت المطر ١٩٧٣.
٢١ - الكرنك ١٩٧٤.
٢٢ - حكايات حارتنا ١٩٧٥.
٢٣ - قلب الليل ١٩٧٥.
٢٤ - حضرة المحترم ١٩٧٥.
٢٥ - ملحمة الحرافيش ١٩٧٧.
٢٦ - عصر الحب ١٩٨٠.
٢٧ - أفراح القبة ١٩٨١.
٢٨ - ليالى ألف ليلة ١٩٨٢.
٢٩ - الباقى من الزمن ساعة ١٩٨٢.
٣٠ - رحلة ابن فطوطة ١٩٨٣.

٣١ - العائش فى الحقيقة ١٩٨٥.
٣٢ - يوم قتل الزعيم ١٩٨٥.
٣٣ - حديث الصباح والمساء ١٩٨٧.
٣٤ - قشتمر ١٩٨٨.

القصص القصيرة :

٣٥ - همس الجنون ١٩٣٨.
٣٦ - دنيا الله ١٩٦٣.
٣٧ - بيت سيئ السمعة ١٩٦٥.
٣٨ - خمارة القط الأسود ١٩٦٩.
٣٩ - تحت المظلة ١٩٦٩.
٤٠ - حكاية بلا بداية ولا نهاية ١٩٧١.
٤١ - شهر العسل ١٩٧١.
٤٢ - الجريمة ١٩٧٣.
٤٣ - الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩.
٤٤ - الشيطان يعظ ١٩٧٩.
٤٥ - رأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢.
٤٦ - التنظيم السرى ١٩٨٤.
٤٧ - صباح الورد ١٩٨٧.

٤٨ – الفجر الكاذب ١٩٨٩.

٤٩ – القرار الأخير

الترجمات والحوارات :

٥٠ – مصر القديمة ١٩٣٢.

٥١ – أمام العرش ١٩٨٣.

(سيرة ذاتية) :

كتب للأطفال

٥٢ – أصداء السيرة الذاتية ١٩٩٥.

٥٣ – عجائب الأقدار

المقالات :

٥٤ – حول الدين والديمقراطية .

٥٥ – حول الشباب والحرية .

٥٦ – حول الثقافة والتعليم.

٥٧ – حول التدين والتطرف.

٥٨ – حول العدل والعدالة.

٥٩ – حول التحرر والتقدم.

٦٠ – حول العلم والعمل.

٦١ – حول العرب والعروبة .

* وتنوى الدار المصرية اللبنانيـة - بإذن الله - مواصلة نشر مقـالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونُشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر .

المسرحيات :

سبع مسرحيات مـن ذات الفصل الواحد ، خمس منهـا فى مجمـوعة «تحت المظلة » وهى :

٦٢ - يميت ويُحْيى .

٦٣ - التركة .

٦٤ - النجاة .

٦٥ - مشروع للمناقشة .

٦٦ - المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة « الشيطان يعظ » هما :

٦٧ - الجبل .

٦٨ - الشيطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحوّلها إلى العاميـة ، وأخرجها أحمد عبـد الحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة ».

الروايات والقصص الى أعدت للمسرح :

١ - زقاق المدق : إعداد أمنية الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .

٢ - بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .

بداية ونهاية : إعداد أحمد عبد المعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦.

بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الغفار عودة ١٩٨٦.

٣ - بين القصرين : إعداد أمنية الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .

٤ - قصر الشوق : إعداد أمنية الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١.

٥ - اللص والكلاب : إعداد أمنية الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .

٦ - الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .

٧ - خان الخليلى : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٨٦٣.

٨ - روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

٩ - ميرامار : إعداد نجيب سرور وإخراجه ١٩٦٩ .

١٠ - القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى وإخراجه ١٩٨٩ .

١١ - حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى ، وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩.

السيناريوهات :

١ - المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .

٢ - عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .

٣ - لك يوم ياظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .

٤ - ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .

٥ - الوحش :إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .

٦ - جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .

٧ - فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .

٨ - شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .

٩ - درب المهابيل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .

١١ - الفتوة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٧ .

١٢ - الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .

١٣ - الهاربة : إخراج حسن رمزى ١٩٥٨ .

١٤ - أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .

١٥ - إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .

١٦ - بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .

١٧ - جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٥٩ .

١٨ - الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٦٣ .

١٩ - ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .

٢٠ - الاختيار : إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .

٢١ - دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .

٢٢ - ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

٢٤ - المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم ياظالم) ١٩٧٨ .

٢٥ - وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

١ – بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .

٢ – زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .

٣ – اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .

٤ – بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .

٥ – الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤.

٦ – خان الخليلى : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .

٧ – القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .

٨ – قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .

٩ – السمان والخريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .

١٠ – ميرامار : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .

١١ – السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .

١٢ – ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .

١٣ – صور ممنوعة : إخراج مدكور ثابت ، (من خمارة القط الأسود) ١٩٧٢ .

١٤ – السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .

١٥ – الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

١٦ - أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، (من المرايا) ١٩٧٤ .

١٧ - الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .

١٨ - الحب تحت المطر : إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .

١٩ - الشريدة : إخراج أشرف فهمى ، (من همس الجنون) ١٩٨٠.

٢٠ - فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، (من حكايات حارتنا) ١٩٨١ .

المقاهى .. فى حياته :

١ - مقهى عرابى بالعباسية .

٢ - مقهى قشتمر بشارع الجيش .

٣ - مقهى الفيشاوى بالحسين .

٤ - مقهى زقاق المدق .

٥ - مقهى الفردوس .

٦ - مقهى روكسى .

٧ - مقهى لونابارك .

٨ - مقهى أحمد عبده بالحسين .

٩ - مقهى على بابا بالتحرير .

١٠ - مقهى ريش بالتحرير .

١١ - كازينو قصر النيل .

١٢ - كازينو كليوباترا .

١٣ ـ مقهى ديليسبس بالإسكندرية .

١٤ - كازينو بترو بسيدى بشر .

١٥ - كازينو ميرامار بالإسكندرية .

١٦ - كازينو سان استيفانو .

كتبه .. مترجمة إلى اللغات الأخرى

١ - همس الجنون	ق . المنصور	بيروت	١٩٦٠ .
٢ - الزعبلاوى	صفية ربيع	جامعة القاهرة	١٩٦٢ .
٣ - دنيا الله	روجر الـسن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٤ - زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	جامعة ميتشجان	١٩٦٦ .
٥ - الزعبلاوى	نسيم رجوان	دورية بريطانية	١٩٦٧ .
٦ - الزعبلاوى	دنيس جونسون	جامعة أكسفورد	١٩٦٧ .
٧ - قصص قصيرة	محمود المنزلاوى	جامعة الإسكندرية	١٩٦٨ .
٨ - دنيا الله	محمود المنزلاوى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٨ .
٩ - دنيا الله	روجَر الـسن	دار أمريكية	١٩٧٣ .
١٠ - القصص القصيرة	جوزيف أولين	جامعة بيروت	١٩٧٣ .
١١ - زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	لندن	١٩٧٥ .
١٢ - تحت المظلة	دينيس جونسون	لندن	١٩٧٦ .
١٣ - المرايا	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٧ .
١٤ - خمارة القط الأسود	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٧ .
١٥ - ميرامار	فاطمة مرسى	لندن	١٩٧٨ .

١٦ - اللص والكلاب — تريفور لوجاسيك — الجامعة الأمريكية — ١٩٨٤.

١٧ - أفراح القبة — أوليف كينـسى — الجامعة الأمريكية — ١٩٨٤.

١٨ - السمان والخريف — روجر الـسن — الجامعة الأمريكية — ١٩٨٥.

١٩ - بداية ونهاية — رمسيس عوض — الجامعة الأمريكية — ١٩٨٥.

٢٠ - الشحات — كريستين وكرهنرى — الجامعة الأمريكية — ١٩٨٦.

٢١ - حضرة المحترم — رشيد العنانى — لندن ونيويورك — ١٩٨٦.

٢٢ - حضرة المحترم — رشيد العنانى — الجامعة الأمريكية — ١٩٨٧.

٢٣ - الطريق — محمد إسلام — الجامعة الأمريكية — ١٩٨٧.

٢٤ - اللص والكلاب — عادل إلياس — جدة — ١٩٨٧.

٢٥ - حكايات حارتنا — سعاد صبحى — واشنطن — ١٩٨٨.

كتب عربية .. عن حياته وأعماله

١ - قضيته الشكل الفنى	د . نبيل راغب	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٦٧.
٢ - المنتمى	د . غالى شكرى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٧.
٣ - تأملات فى عالم محفوظ	محمود أمين العالم	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٠.
٤ - مع نجيب محفوظ	أحمد محمد عطية	دمشق	١٩٧١.
٥ - الإسلامية فى أدب محفوظ	د . محمد حسن عبد الله	الكويت	١٩٧٢.
٦ - الله فى رحلة محفوظ	جورج طرابيشى	بيروت	١٩٧٣.
٧ - قراءة الرواية فى عالم محفوظ	د . محمود الربيعى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٤.
٨ - دراسة فى أدب محفوظ	د . رجاء عيد		١٩٧٤.
٩ - محفوظ على الشاشة	د . هاشم النحاس	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٧٥.
١٠ - الرؤية والأداة	د . عبد المحسن طه بدر	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٨.
١١ - العالم الروائى عند محفوظ	إبراهيم فتحى	دار الفكر المعاصر (القاهرة)	١٩٧٨.
١٢ - نجيب محفوظ	د . على شلش	بيروت	١٩٧٩.
١٣ - الروائيون الثلاثة	يوسف الشارونى	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٠.
١٤ - ثلاثية نجيب محفوظ	جاك جومييه	بيروت	١٩٨٠.
١٥ - الرمزية فى أدب محفوظ	د .فاطمة الزهراء سعيد	بيروت	١٩٨١.
١٦ - دنيا نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٢.
١٧ - قصة الأجيال	د . ناجى نجيب	المكتبة الثقافة (القاهرة)	١٩٨٢.
١٨ - أدب نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	عكا	١٩٨٢.
١٩ - بناء الرواية	د . سيزا قاسم	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٤.
٢٠ - محفوظ حياته وأعماله	نبيل فرج	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٦.
٢١ - محفوظ يتذكر	جمال الغيطانى	أخبار اليوم (القاهرة)	١٩٨٧.
٢٢ - الفن القصصى	يوسف نوفل	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٨.
٢٣ - عالم نجيب محفوظ	د . رشيد العنانى	الهلال (القاهرة)	١٩٨٨.

كتب .. تضمنت فصولاً عنه

لطه حسين-عبـــاس خضر-فـؤاد دوارة- على الراعـى-جـــلال العشرى- رشاد رشدى-يوسف الشارونى-غالى شكرى-صلاح عبد الصبور- لويس عـوض - شكرى عياد - سيـد قطب - أنور المعداوى - محمد مندور-فاروق منيب-رجاء النقاش-حسن البندارى - فتحى العشرى .

كتب أجنبية .. عن أعماله

١ - زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	بيروت	١٩٦٦ .
٢ - عالم محفوظ	عادل إلياس	الأنجلو (القاهرة)	١٩٧٢.
٣ - دنيا محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٧٢.
٤ - المرايا	روجر السن	أمريكا	١٩٧٢.
٥ - روايات محفوظ	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٣.
٦ - الرواية المصرية	هيلارى كيلبا تريك	لندن	١٩٧٤.
٧ - الكرنك	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٩.
٨ - حكايات حارتنا	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٠.
٩ - أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	لندن	١٩٨١.
١٠ - الرواية المصرية	على جاد	لندن	١٩٨٣.
١١ - أعمال محفوظ	بيليد ماتينياهو	نيوجرسى	١٩٨٣.

دراسات أجنبية .. عن أعماله

العمل	الدارس	المكان	السنة
١ - دنيا الله	روجر ألسن	دورية أمريكية	١٩٦٤.
٢ - الروايات والقصص	مناجم ميسون	هولندا	١٩٧٠.
٣ - الزعبلاوى	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٠.
٤ - أولاد حارتنا	فاتيكيوتس	بريطانيا	١٩٧١.
٥ - المرايا	روجر ألسن	دورية أمريكية	١٩٧٢.
٦ - المرايا	روجر ألسن	دورية أمريكية	١٩٧٣.
٧ - نجيب محفوظ	منى نجيب ميخائيل	هولندا	١٩٧٤.
٨ - الأدب العربى	ر . س . أوستيل	لندن	١٩٧٥.
٩ - الرواية المصرية	صبرى حافظ	هولندا	١٩٧٦.
١٠ - بين القصرين	حسن الشامى	أميريكا	١٩٧٦.
١١ - زقاق المدق	فاطمة موسى	لندن	١٩٧٦.
١٢ - النساء عند محفوظ	اكسيفير فرانسيس	هولندا	١٩٧٧.
١٣ - الكرنك	تريفور لوجاسيك	واشنطن	١٩٧٧.
١٤ - المجتمع الإسلامى	جابر ابيل ماثير	هولندا	١٩٨٤.
١٥ - أولاد حارتنا	جرير أبو حيدر	هولندا	١٩٨٥.

رسائل جامعية .. عنه

١ - ماجستير	أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	أكسفورد	١٩٦٣.
٢ - دكتوراه	الأعمال الأدبية	بيليد ماتينياهو	كاليفورنيا	١٩٧١.
٣ - دكتوراه	الروايات	اكسفيرفرانسيس	كولومبيا	١٩٧٢.
٤ - دكتوراه	أدبه	منى نجيب ميخائيل	متشجان	١٩٧٢.
٥ - دكتوراه	الرواية المصرية	على جاد	أكسفورد	١٩٧٤.
٦ - دكتوراه	الأدب العربى	ر . س . أوستيل	لندن	١٩٧٥.
٧ - دكتوراه	اللص والكلاب	عادل إلياس	أوكلاهوما	١٩٧٩.
٨ - دكتوراه	التجديد والتقليد	عبد الوهاب الحاكمى	آلستر	١٩٧٩.
٩ - دكتوراه	أهل القاهرة	سمير مصطفى	ألينويز	١٩٨٠.
١٠ - دكتوراه	الواقعية	عدنان الوزان	أدنبرة	١٩٨١.
١١ - دكتوراه	الموت	أحمد الروبى	متشجان	١٩٨٢.
١٢ - دكتوراه	أدبه	محمد محمود	أكسفورد	١٩٨٢.
١٣ - ماجستير	السلطة	ريتشارد كينيث	أريزونا	١٩٨٤.
١٤ - دكتوراه	الروايات التاريخية	حسين يوسف حسين	أدنبرة	١٩٨٤.
١٥ - دكتوراه	دراسة مقارنة	أ . البسام	آلستر	١٩٨٤.
١٦ - دكتوراه	حضرة المحترم	رشيد الغسانى	آلستر	١٩٨٤.
١٧ - دكتوراه	العبثية	منى شفيق فايد	ألينويز	١٩٨٤.
١٨ - دكتوراه	بين القصرين	سعاد فطيم	آلستر	١٩٨٧.
١٩ - ماجستير	زقاق المدق	سميحة صليب	كونيتيكيت	١٩٨٨.

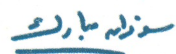
محتويات الكتاب

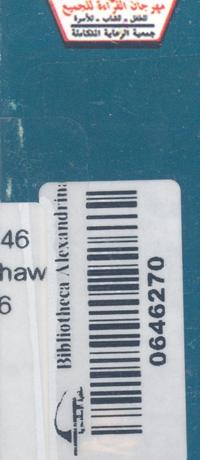
طبعة خاصة تصدرها
الدار المصرية اللبنانية
ضمن مشروع مكتبة الأسرة





ستظل القراءة هى المظلة الرئيسية
للبناء الروحى والفكرى والوجدانى
للإنسان، والثقافة هى بكل المقاييس
أفضل استثمار لبناء مجتمع المستقبل
و«ثقافة السلام» هى الضمان الأكيد
لإرساء دعائم الأمن والسلام الاجتماعى،
والتسامح ومكافحة العنف، ونشر العلم
والمحبة والإخاء والديمقراطية،
والتواصل مع الحضارات الأخرى.





الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢ جنيه